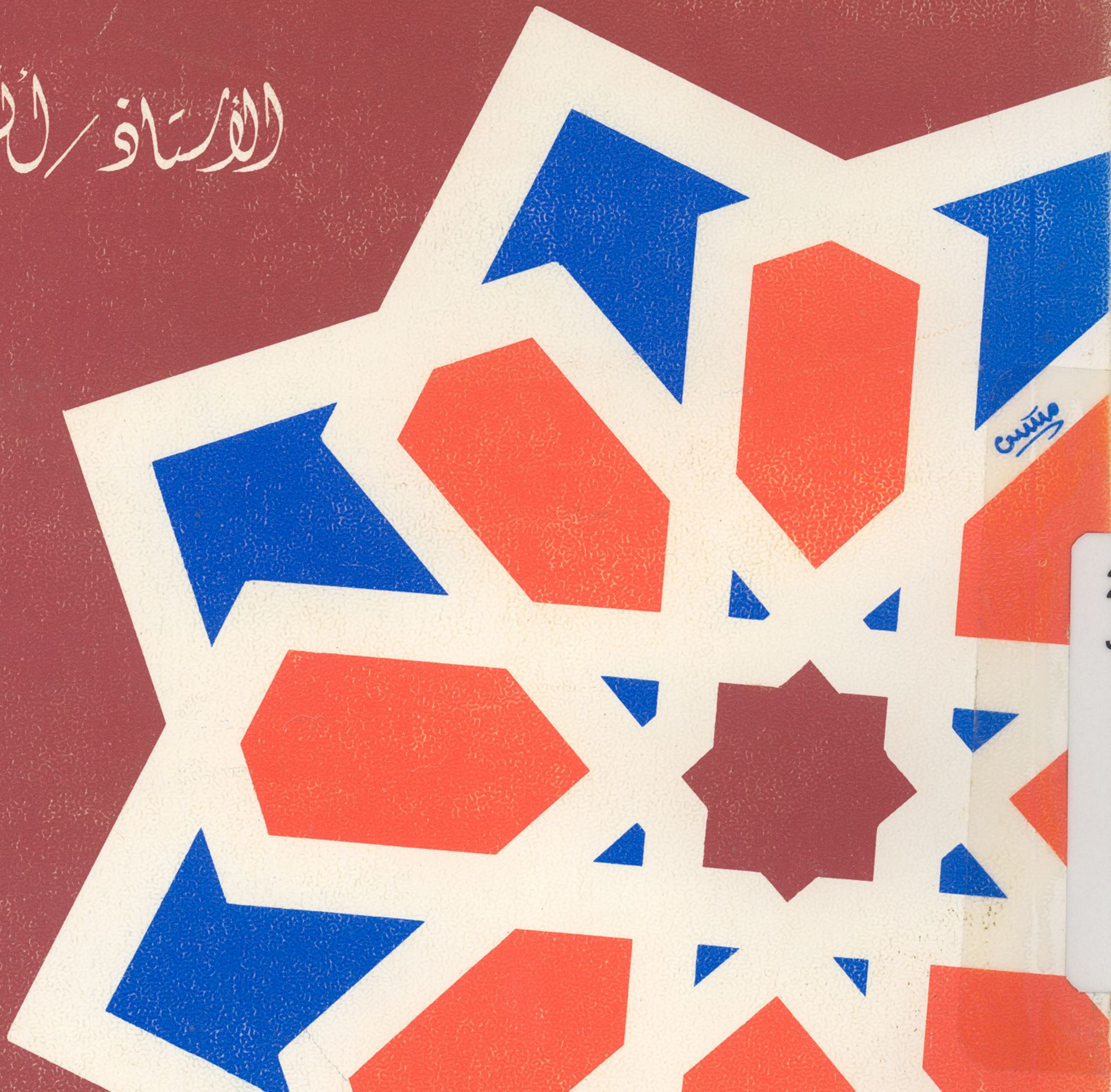


المعاصرة

فحياطا والأطالة

الفرساف / الثور الجندى



الفلسفة والنور الجندى

المعاصرة في إطار الأصولية

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(المدخل)

ترددت كلمة الأصالة والمعاصرة على كل الألسنة دون أن يدرى المتحدثون أنهم يسقطون في فخ كبير أعده لهم التغريبيون ، ودون أن تجتمع كلمتهم على تفسير واحد للمصطلحات فما هي الأصالة وما هي المعاصرة ؟ وفي الحقيقة أن المعركة الجديدة هي امتداد لمعركة ممتدة منذ وقت بعيد جرت تحت اسم التجديد والقديم ، وتحت اسم المعاصرة والجمود ، وتحت اسم التراث والوافد ، وهناك من يطرح بديلا لكلمة (الأصالة والمعاصرة) عبارة : التراث والمعاصرة ، والمعنى لم يتغير ، وولاء العلمانيين الماديين لفكر الذين يصدرون عن عقليات مغربة لا تستطيع فهم الإسلام إلا على ضوء الفكر الغربي اليوناني والمسيحي ، تحاول أن تخفى حقدتها وراء كلمات خادعة ولو أنها أفصحت لقاتلت (الإسلام) بديلا عن القديم وعن التراث ، ولوصفته بالجمود والرجعية والتخلف ، ولكنها تخشى المواجهة ولذلك تلجأ إلى المواربة والخداع ، بل إن الحملة على اللغة العربية هي في حقيقتها حملة على القرآن الكريم ، لا يستطيع القائلون بها أن يجهروا بذلك فيخفون أهدافهم وراء عبارات تثير المشاعر ، ولكن المضامين التي يقدمونها تكشف بوضوح عن الأحقاد التي تكنها الصدور : صدور مجموع من التغريبيين والشعوبيين والماديين يحاولون أن تتطوى صفحة هذا المصدر الحقيقي لوجود المسلمين والعرب ، مصدر الجذور والمنابع التي هي أساس البناء الحضارى الذى لا يمكن أن تعود نهضة المسلمين إلا على أساسها .

إن كلمة التراث كلمة موهومة ملغومة يراد بها أن يصبح الإسلام تراثاً أشبه بتراث الأمم المعاصرة وجماع أساطيرها وفلكورها وموروثاتها القديمة فيتخذ منه ويترك ولكن الذين استعملوا كلمة التراث في مواجهة المعاصرة نسوا الفوارق العميقة بين مصطلح التراث في الغرب ومصطلح التراث في الإسلام ونسوا أن تراث الغرب هو مجموعة كتابات كتبها بشر سواء أكانوا من أتباع الأديان أم من أتباع الأيدلوجيات ومن ثم فإن كليهما يؤخذ منه ويترك ، أما بالنسبة للإسلام فإن هناك شيء قائم كالمنار لا يمكن أن يوصف بأنه تراث هو (القرآن والسنة) وهذا هو ميراث المسلمين الأصيل الذي حفظ الله ما أنزل منه وهو القرآن والذي وصفه الرسول الكريم بقوله : لقد أوتيت هذا الكتاب ومثله معه •

هذه هي هدية السماء إلى الأرض والنص القدسي المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والأصل الموثق ، كيف يمكن أن يصفه بضعة شعوبيين وعلمانيين بأنه تراث ؟ !

نعم هناك التراث وهو ما كتبه الفقهاء والعلماء والمفسرون ، وهذا ما يمثل تجربة الأجيال التي ينضم اليها التاريخ الذي هو بمثابة التطبيق لنظام الله وهذه فيها الخطأ والصواب وفيها ما يصلح للاقتباس وما لا يصلح • ومن هنا يتبين أن طرح القضية على هذا الوجه هو طرح له طابع التهمويه ومحاولة الخداع والغش •

ومعنى الأصالة : العودة إلى الأصل ، إلى المنابع ، ونحن كمسلمين لا نستطيع أن نبني إلا على أساسنا الأصيل ولا بد أن نعود إلى القاعدة الإسلامية الأساسية التي بنى عليها هذا المجتمع منذ خمسة عشر قرناً فإذا وضعناها في مكان الحكم والاحتكام دخلنا مرحلة المعاصرة على ضوء كاشف ، ذلك أننا لا نقر تلك الكلمات المسمومة

والخادعة التى تقول بأننا يجب أن نكون معاصرين أى نساير العصر ،
أو قولهم أن يعيش الإنسان عصره ، نعم يعيش المسلم عصره على
قاعدته الأساسية ولا يضحى بالضوابط والقيم والحدود التى رسمها
له دينه والتى قام عليها المجتمع الإسلامى من أول يوم وبنيت الحضارة
الإسلامية على أساسه لا يضحى بذلك أبداً فى سبيل الجرى وراء
سراب خادع اسمه المعاصرة أو الحداثة أو التقدم •

إن للتقدم فى الإسلام مفهوماً جامعاً ، يجمع بين المادى
والمعنوى ، ولنا فى الفن مفهوم أساسى وهو غلبة الأخلاقى على
الجمالى ، ودون تضحية بالأخلاقى من أجل الجمالى •

إن للمسلمين قاعدة أساسية : هى جوهر الأصالة تلك هى
(ربانية الوجهة فى بناء الإنسان والأسرة والجماعة والمجتمع والحضارة)
وتلك هى قصة الحضارة المعاصرة والمجتمع الغربى اليوم بشهادة
كبار كتّابه •

إننا نؤمن بأخلاقية الحضارة والمجتمع وبالالتزام الفردى
والمسئولية الأخلاقية وبالحساب والجزاء وهو ما تتكره الحضارة
الغربية والمجتمع الغربى فكيف يمكن أن نقبل أطروحة أو (إرجانون)
مخالف ، هو فى ذاته ناقص وقاصر لأن الفكر الغربى كله يجرى فى
إطارين يرفضهما الإسلام : الانشطارية ، والمادية •

فالمنهج الإسلامى والأطروحة الإسلامية والارجانون الإسلامى
يقوم على أساس التكامل بين القيم ويجمع بين المادية والروحية فى
الكيان المتكامل •

ونحن فى (المعاصرة) لنا حق الاختيار ، فلا يفرض علينا من
الغرب شىء وحاجتنا الأساسية كلها فى العلوم والتكنولوجيا وكل

ما نختاره هو المادية ، ولنا أن نصهرها في إطار وجودنا وعقيدتنا .

ونحن أمة لها حضارة أضاعت العالم ألف عام ولنا منهج ربانى جامع ، ومن ثم فنحن لا يجوز لنا أن نكون مستعبدين أو مقلدين أو تابعين ولا يمكن أن نقع تحت سيطرة حضارة كانت متفرقة وهى الآن في طريق الغروب ، ونحن نعلم أن في الغرب أشياء كثيرة لسنا في حاجة إليها وخاصة منهج العيش الغربى ومفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع ونحن نعرف أن الغرب يمر اليوم بمرحلة العبودية للجنس والإباحة والجريمة والاستهلاك وتبديد الثروات التى وضعها الله تبارك وتعالى للبشرية وهذا مالا يدخل في إطار التقدم ولكن يدخل في إطار الانحراف .

إننا نعرف أن الربط بين الأصالة والمعاصرة ربط بين علاقتين هى علاقة الزمن وعلاقة التاريخ ، فالمسلمون يعيشون بمفهومهم الإسلامى الذى لا يضحى بالقيم ولا بالمنابع ولا بالأسس التى قامت عليها عقيدتهم وكتابهم وهم قادرون أن يعيشوا العصر على أساس الالتزام بالأصالة ولذلك هم يؤمنون بالمعاصرة في إطار الأصالة .

إن للمسلمين شخصية متميزة لا يمكن القضاء عليها وكل هذه المحاولات لا تستطيع أن تفعل شيئا ، وهذه المؤامرات ليست جديدة وإن لبست أثوابا مختلفة ، فإن أمة لها منهج حياة ربانى المصدر إنسانى الوجهة ، وهو بذلك يختلف عن كل مناهج الأمم ، وهى تمتلك الطاقة والثروة والتفوق البشرى ، وهم يعلمون مسئوليتهم الكبرى في إقامة المجتمع الربانى وتبليغ أمانة الإسلام إلى الانسانية والعالم كله ، إن هذه الأمة التى تملك منهاج ربانى لا يجوز أبدا أن تترك الجوهر الذى تملك وتبحث عن التراب والصفائح السدى في أيدي الناس .

العودة إلى المنهج الإسلامى الربانى

إن أصحاب الاتجاه الإسلامى لا يمكن أن يسموا (تراثيون) كما أنه لا يمكن أن يسمى المنهج الإسلامى بأنه تراث ، والمنهج الإسلامى (القائم على القرآن والسنة) هو شئ غير التراث وفوق التراث . والتراث الإسلامى الذى هو نتاج الفكر الإسلامى فى عصوره المختلفة ، ولا يمكن أن يوصف بأنه (التراث الدينى) بمفهوم غربى للتراث وللدين ، ولقد صنع الإسلام للمسلمين ميراثا هو المنهج الربانى وتراثا هو عطاء الفقه والتفسير والعلوم والأدب الذى قدمه عشرات من التوابع والأعلام والذى ما زال حيا ينبض ، وما تزال تستفيد منه أكاديميات البحث العلمى الغربى فى مجال القانون والعلوم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والتربية والسياسة ، وقد قدم عشرات النظريات التى ما تزال تطبق وتدرس وهناك عشرات ما تزال تحتضنها مخطوطات التراث الإسلامى التى نهبت من بلاد المسلمين وتذخر بها مكتبات ليدن والكونجرس والسريون وغيرها .

وهذا التراث الإسلامى هو معطيات العقل الإسلامى ، سواء أكان أصحابه عربا أم فرسا أم تركا ، موالى أم أمراء ، وهو شئ مختلف عن تراث الفرعونية والقبطية والفارسية والهندية والمجوسية القديمة الذى يختلف اختلافا بعيدا لأنه منفصل عن تراث الإسلام بعامل الوثنية فى مقابل التوحيد الخالص ولذلك فإن الدعوة إلى دمج التراث الإسلامى فى ميراث ما قبل الإسلام دعوة باطلة وزائفة .

ولقد تميز التراث الإسلامى (وهو تراث يجمع بين العقيدة والعلوم الاجتماعية) ولا يوصف بأنه تراث دينى بمفهوم اللاهوت المسيحى ، يتميز هذا التراث الإسلامى بأمرين : أصول العقيدة

كالتوحيد ، وعلوم الكلام والفقه والدراسات الاجتماعية وهى مجموعة الممارسات والتوجيهات التى عرفها المسلمون خلال تطبيق منهج الإسلام على المجتمع .

ولذلك فإن الدعوة التغريبية الشعوبية التى تجرى فى ركاب دعاة (التراث والمعاصرة) ترمى إلى •

• إحياء الفكر المعتزلى والباطنى والجبرى الصوفى على النحو الذى يكتب به فلان وفلان •

• إعادة كتابة التاريخ الإسلامى بأقلام مسمومة على النحو الذى يكتب به عبد الرحمن الشرقاوى سيرة الإمام « على » •

• تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً مادياً •

• حجب التراث الإسلامى الأصيل •

• فرض التفسيرات الاشتراكية للفكر الإسلامى •

• مهاجمة الشخصيات اللاحقة فى تاريخ الفكر الإسلامى :
الغزالى ، ابن تيمية ، ابن خلدون ، المتنبى •

وها نحن نجد دوائر الاشتقاق فى الغرب تحجب عنا تراثنا المذخور فى مكتبات الغرب بعد أن تكشفت بعض نظرياته التى ادعاها علماء من الغرب ، وذلك لإحياء جانب واحد من هذا التراث ، المادية ، إحياء القرامطة والزنج وإدخال عنصر الأساطير إلى السيرة النبوية •
إننا اليوم نرى محاولة القرن الثالث تتجدد : وهى محاولة فرض الفلسفات الغربية الوافدة على الفكر الإسلامى •

ولكن لقد جاءت هذه المرحلة بعد أن اتسع نطاق الوعى وعمق ، ولم يعد هناك من يستطيع أن يتجاهل هذا العملاق الذى تتسع خطواته : الصحوة الإسلامية التى تتخذ الإسلام مصدراً وحيداً

للهوية والاتجاه والنظام في بناء المجتمع الإسلامي ، والعودة إلى
المنابع ، والتماس الطريق الذي سلكه المسلمون خلال أربعة عشر قرناً
فهو ليس غريباً ولا جديداً ولا خاطئاً بل الخطأ عكس ذلك ، هو
استمرار الولاء للمفاهيم التي ثبت فشلها وفسادها : الليبرالية
والماركسية والاشتراكية وهي جميعها إفراز المسيحية الغربية ، إن
النكسة وفشل هذه المناهج في التطبيق هي التي دفعت المسلمين إلى
العودة إلى المناهج مرة واحدة على أنه هو الطريق الوحيد بل إن
المسلمين يعلمون أنهم في مختلف الأزمات والتحديات العالمية الكبرى
التي مرت بهم سواء في الحروب الصليبية ، أو غزو التتار ، أو حروب
الفرنجة لم يكن أمامهم إلا التماس منهج الإسلام ، والدخول في
خيمته . وإسلام الوجه إليه ، وكان هو المنقذ الوحيد ، ونحن في
نفس الموقف والتحدى ، وقد جرت محاولاتنا بتوجيه التغريبيين خلال
أكثر من مائة عام ، وقد سقطت نصيحتهم لأننا لم تكن خالصة لوجه
الله وتبين أن التبعية للفكر الغربي أو الحضارة الغربية ليست علامة
حياة بل علامة إشراف على الفناء .

ونحن نرى هذه المحاولات الشرسة اليوم موجهة إلى الإسلام
من كل ناحية حيث يوصف الإسلام : ذلك النبع الرباني المزهر بأنه
تراث وبأنه سلفية ، وبأنه دين لاهوتي وبأنه قديم .

وتحل كلمة العروبة محل الإسلام في وصف الحضارة ، وفي
وصف الثقافة ، لتخزين الوجهة الواحدة الجامعة ونحن نقول :

عروبة في إطار الإسلام

ثقافة عربية إسلامية الوجه

إن تلك المصطلحات الخادعة التي تريد أن تعلى شأن العروبة
لحجب الإسلام لن تؤدي إلى شيء ، وسوف لا تحجب الحقيقة إلا
قليلاً ، لأننا نعرف أن العروبة والإسلام وجهان لعملة واحدة ، وأن

هزيمة ١٩٦٧ قد أدت سقوط الاستعلاء بالقومية وهو التيار الذي استشرى وأنفق أطنانا من الحبر واليهتافات وأعطى الفرصة الواسعة للإصلاح ، ولكنه عجز عن تحقيق الأهداف لأنه استسلم للنظرية الغربية ، للقومية وعجز عن فهم العلاقة الجذرية بين العروبة والإسلام وأن الإسلام هو الذي أعطى العروبة وجودها ومنطلقها وأن العرب بغير الإسلام لا شيء .

لقد جاءت الصحة الإسلامية على أتقاض مسلمات كثيرة ثبت فشلها وعجزها عن العطاء ، فكان لابد من تصحيح المفاهيم وتحرير القيم والتماس الأصالة وبناء المعاصرة في إطار الأصالة لاخراجها .

إن العودة إلى منابع : هي السبيل الوحيد لمواجهة أخطار النفوذ الغربى والوافد ومطامع الأُممية ، وأن تمسك الصهيونية بالوحدة بين القومية والعقيدة هو مفهوم إسلامى أصلا انحرفنا عنه وحاولت العلمانية إخراجنا منه ، حتى لا نحارب قضيتنا عن طريق الإسلام ، ولقد كان الإسلام ولا يزال جنسية ولن يستطيع المسلمون مواجهة الأخطار إلا بالعودة إلى الوحدة الجامعة ، ووحدتهم الحقيقية ليست في الأفكار ولكن في التماس مفهوم الإسلام نفسه ، فالقرآن هو الجامعة الحقيقية لهم ، وعلينا أن نفهم التيار القومى (عربيا وفارسيا وتركيا وهنديا) داخل إطار الإسلام ومن خلال نظرية التعارف (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) .

إن الإسلام دين عالمى الوجهة إنسانى الهدف ربانى المصدر ، وهو دين مفتوح لتجارب العالم ، يقبل منها ما يراه صالحا لمسيرته ، وكل ما يستقبله يعرضه على جوهر مفهومه وعلى ضوءه يقبل منه ويرفض .

وعلى ضوء الأصولية الإسلامية ننظر إلى التراث أيضا فإن تراث

الباطنية والفلسفات ووحدة الوجود وزندقة أبي نوابس وانحرافات
السهروردي والحلاج وابن سبعين من التراث المردود .

ولقد تتردد كلمات مضللة تقول بوجوب العودة إلى التراث ،
وما طالب أحد بالعودة إلى التراث وإنما المطالبة بالعودة إلى
المناهج فهي موجهة إلى منهج الإسلامى الربانى : الذى يعرف
التعامل مع الثوابت فيه والمتغيرات بحيث لا يصيبه الجمود
ولا يتوقف عن مزامنة تغيرات العصور والبيئات .

منهج جامع متكامل تكامل الإنسان نفسه

السؤال هو : هل هم لا يفهمون الإسلام حقيقة ، أم يفهمونه ويحاولون تزييف هذا الفهم في نظر أهله والراغبين في التعرف عليه من الأمم الأخرى ، الحقيقة أن (مؤامرة التغريب) ترمى إلى عمليتين في وقت واحد : خلق روح الشك والتشاؤم والانتقاص في المسلمين لإسلامهم ، جوهر حياتهم ونور وجودهم ، بإشاعة هذه السموم ومحاولة فرض نظريات يقنعون بها الناس كمنطلق للتقدم والنهضة ، وكلها ترمى إلى حجب الإسلام وراثته وقيمه واعتناق ذهنية الغرب المادية الإباحية التي تواجه اليوم انهياراً شديداً وتمر بمرحلة الهزيمة والسقوط ، ومنذ أكثر من ثلاثين سنة كتب كتاب الغرب عن (سقوط الحضارة الغربية) وهزيمتها ودمارها ، كتب كثيرون ، وما تزال الأحداث تؤكد صدق ما ذهبوا إليه ، إنها محاولات تمويه شديدة ، تستخدم مجموعة من المصطلحات لا تخدع أحداً ، فالمسلمون اليوم لا يخافون من أن يوصفوا بالسلفية ، ولا بالترائية ، — ولا بالتخلف أو الجمود أو الرجعية فقد ثبت أن هذه الأسماء كلها هي في حقيقتها إيمان بالتوحيد الخالص والعقيدة الربانية المنزلة ، وأن مفهوم السلفية في الإسلام يختلف عن مفهومه في الغرب ، ومفهوم التراث في الفكر الإسلامي له وضعه المتباين مع مفهوم التراث في الغرب .

ولقد كان من الضروري أن نتحدد مفاهيم المصطلحات التي تستعمل ، وأرضيه البحث نفسه ، فهل الإسلام في مجموعه كالمسيحية الغربية التي أثمرت كل هذه المفاهيم ، والتي انبعثت من تطورها وحركتها خلال العصور إن الإسلام دين منزل كالمسيحية قلنا (نعم) هو دين منزل ولكنه خاتم الأديان وكتابه مازال محفوظاً من كل تعبير وتبديل ، أما المسيحية فليست كذلك ، لقد أنزلت على سيدنا عيسى

كختم أنبياء بنى اسرائيل ، فهي ليست ديناً مستقلاً ، وقد حرف كتابها بشهادة كبار علماء اللاهوت ، وما هو موجود الآن فى أيدي الناس ليس كتاب موسى (التوراة) المنزل واسألوا الدكتور « موريس بوكاي » .

ولما كانت المسيحية مجموعة من الوصايا فإن تحولها إلى دين عالمى على يد « بولس » قد أدخلها فى مأزق شديد ، لأنها دين بلا شريعة ، فكان لابد من وضع شريعة بشرية ، ومن هنا جاء الخلط والاضطراب والعجز عن ملاحقة الأحداث المتغيرة ، أو مواجهة البيئات المختلفة ، ومن هنا نشأت هذه المفاهيم الفلسفية فى المسيحية التى يحاولون طرحها فى إطار الإسلام :

— العلاقة بين العلم والدين .

— ما هو مفهوم الدين ؟

— الانشطارية بين الروحية والمادية .

— غلبة مفهوم الفلسفة المادية .

— العلاقة بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية .

— النظرية الفردية فى الليبرالية ، والنظرية الجماعية فى الماركسية والاشتمالية .

لقد تخطى الغرب بين فلسفات « ماركس » « وفرويد » « وسارتر » وبين نظريات « دارون » (ودور كايم) (وديوى) ، كل هذا الاضطراب هو نتاج (المسيحية الغربية) وليست المسيحية المنزلة التى هى بالقطع مرحلة بين اليهودية والإسلام الدين الخاتم ، وقد جاء رسولها عيسى عليه السلام مصدقاً بالتوراة ومبشراً بالنبى — ﷺ —

(وإذا قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم
مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه
أحمد) (١) •

فليتنق الله هؤلاء الكتاب من اليساريين والوجوديين والعلمانيين
والشعوبيين فيما يحاولون طرحه من سموم بحجة أنها منطلقات
لنهضة موهومة تحدث في البلاد العربية والإسلامية ، ذلك أنه أمام
المسلمين والعرب اليوم وبعد تجارب بدأها « لطفى السيد » « وطه
حسن » و « على عبد الرازق » وصولاً إلى (أنيس منصور)
« ولويس عوض » اليوم ، ليس أمامهم إلا طريق الله الحق : هذا
الطريق الذى وضع تماماً بعد نكسة ١٩٦٧ حين شعر العرب أن
مناصحة التغريبيين لهم (في كلا التجربتين الليبرالية والماركسية) كانت
مضللة وأنها هى التى أسلمت العرب إلى موقف اليوم فى السيطرة
الأجنبية على بلادهم وأرضهم ومقدراتهم •

إن الحقيقة التى لا محيد عنها هى أن المسلمين والعرب ينهضون
بمنهج مختلف عن منهج الغرب ، بمنهج إسلامى أصيل ، يستمد
وجوده الحقيقى من القرآن الكريم والسنة النبوية وأن كل محاولة
لاحتوائهم فى منهج آخر إنما هى وسيلة مأكرة لاستبقائهم فى التيه
مرحلة أخرى ، وتأخير امتلاك إرادتهم وهى وسيلة معروفة ترمى
إلى استنزاف ثرواتهم وتدمير مقوماتهم وهدم معنوياتهم ووضعهم
فى دائرة الاستسلام والتبعية من جديد •

أما خلق روح اليأس والنشأوم والغربة والقلق والتمزق فهى
سارية فيما يطرح الآن علينا من أدب وشعر ومن نظريات الحداثة
والوجودية والسرالية وغيرها ، وهذه نتاج غربى نشأ من خلال نظرية
(الخطيئة) المسيحية التى سرت فى الآداب الأوروبية حتى النخاع والتى

(١) الصف/٦ •

لا سبيل إلى تخلص الغرب المسيحي منها ، أما مفاهيم التفسير المادى للأدب والتاريخ والادعاء بأن الإنسان حيوان ناطق ، أو أنه خاضع للجنس (كما هو عند فرويد) أو للكمة الغيش (كما هو عند ماركس) فذلك أيضا تفسير غربى من اختصاص الغرب ونتيجة لمفاهيمه وثقافته وعقيدته التى شكلتها عوامل كثيرة منها الفلسفة الإغريقية الاباحية ، والقانون الرومانى الذى يفسر الرق وعبودية الإنسان ، ومفهوم المسيحية القائم على تعدد الآلهة .

الحقيقة أننا فى حاجة إلى وعى شديد بهذه المطروحات المضللة ، التى ربما تعتمد على مظاهر براققة لتخدعنا حين نتحدث عن (القومية) ، ونحن لا نقر مفهوم القومية الغربى الوافد لأنه نشأ فى إطار الصراع بين الكنيسة وبين القوى اليهودية الزاحفة والتى أحلت مفهوم الوطن والقوم بدلا من مفهوم الدين ليفسح ذلك لها الطريق إلى السيطرة والقيادة فى مجالات السياسة والمجتمعات والمال والاقتصاد .

إن مفهومنا فى العلاقة بين العروبة والإسلام واضح :

(عروبة فى إطار الإسلام) .

ولقد يكون من الواضح تماما أن الفكر الإسلامى لا يقوم على عنصر واحد فى تركيبه وإنما يقوم على عنصرين متكاملين (كما قام الإنسان نفسه قبضة الطين ونفخة الروح) الروحى والمادى ، الدنيا والآخرة ، الدين والعلم ، الأخلاقى والجمالى وهذا هو أبرز الفوارق بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى . وفارق آخر هو الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية والإيمان بالبعث والجزاء وفارق ثالث أهم وهو : إسلام الوجه لله وإبراز الطابع الربانى فى بدء الأمور ونهايتها ، وفى توجيه العمل كله لله خالصاً فى سبيل إقامة المجتمع

الرباسى والحضارة المرهنة وتبليغ رساله الله إلى الافاق • ونحن نعلم
تماما أن الغرب حين قدم للمسلمين حلولاً لمشاكلهم وقضاياهم سقطت
كلها واحدة بعد واحدة وفشلت إحداها في إثر الأخرى •

أولاً : لأن العرب لم يكن مخلصاً في وجهته فهو على الأقل
لا يرغب في أن تصبح البلاد الإسلامية قادرة على امتلاك إرادتها •

ثانياً : لاختلاف الوسائل والغايات والمنطلقات •

ثالثاً : لاختلاف الوجهة والثقافة والعقيدة •

وبعد الفشل المتكرر من خلال المناهج المختلفة والتجارب
المتصلة تثبت للمسلمين حقيقة واضحة صريحة كفلق الصبح •

« إنه لا سبيل إلى النهضة إلا من خلال مفاتيح الثقافة
الإسلامية والفكر الإسلامى والعقيدة الإسلامية فهى وحدها القادرة
على العطاء » •

إن الغرب لم يستطع من خلال مناهجة وأفكاره التى طرحها
في أفق الفكر الإسلامى أن يحقق الأمن النفسى للمسلمين أو الاستقرار
الاجتماعى لهم لأن تجربته جاءت ناقصة وقامت على أساس النظرة
المادية البحتة •

وهذا العجز ناتج عن أمرين : (أولاً) لعدم وجود البعد
الربانى وهو ليس بعدا بمعنى أن هناك أبعاداً أخرى ، كالبعد
الإنسانى ولكنه أكبر من ذلك بكثير ، (ثانياً) لعدم وجود البعد
الأخلاقى بينما يقدم الإسلام منهجاً متكاملًا جامعاً بين الماديات
والمعنويات ويتكافأ مع تكوين الإنسان الجامع بين الروح والجسم
وهنا نقرر مع الأسف أن الغزو الفكرى والتغريب قد سلم مسئولية
عمله اليوم إلى هذه الجماعة من أصحاب التبعية الحاقدين على
الصحة الإسلامية والذين يريدون القضاء عليها (يريدون ليطفئوا
نور الله بأفواههم والله متم نوره) •

عطاء الإسلام وتراث الغرب

طرحت قضية (الأصالة والمعاصرة) ، أو (التراث والمعاصرة) مقولات كثيرة لا تثبت للبحث العلمى ولا للدليل التاريخى ، وإنما هى تقوم على التمويه والمغالطة وخط الأوراق ، وأبرز أخطائها أنها تجعل الأصالة فى موازاة كلمة التراث ، فالأصالة موقف أما التراث فهو موضوع يمثل تراكمات النتاج الفكرى على مدى العصور ، وهما فى مفهوم الإسلام يختلفان عنهما فى مفهوم الفكر الغربى ذلك أن الإسلام قد أعطى منهجا عالميا إنسانيا رفيع القدر ما تزال الأمم والأفكار غير قادرة على استيعابه أو تطبيقه .

ومن خلال هذا المنهج برز التراث الذى يتمثل فى كتابات العلماء والفقهاء فى مختلف الميادين (وهذا التراث مرتبط بالمنهج فى الحقيقة) ولكن هناك دخائل حدثت من خلال الترجمات اليونانية والفارسية والهندية القديمة سرعان ما واجهها العلماء وكشفوا زينها وردوها ووضعوا قاعدتهم الأصلية : وهى أن كل ما يخالف منهج التوحيد فهو مردود ، وكل ما وافقه فمن حق المسلمين حين يأخذوه أن يجعلوه مادة خاما ويشكلوها فى إطار فكرهم . سواء من ناحية العقيدة أو الفكر أو الثقافة أو التربية .

أما التراث الغربى فماذا هو :

إنه شىء عجيب وخليط غريب من ركام الأساطير والوثنيات القديمة والسحر والخرافات التى عرفها اليونان ، ثم تفسيرات مضطربة لفهم الكون ونشأة الحياة ، وسير الأمم ، ولا هوت مغرق فى الاضطراب يقوم فى أساسه على (التجسيم) فلما جاء عصر العلم قام على أساس (المحسوس) . وقد كانت الحياة خلال ثلاثة قرون

قبل وصول الإسلام والعلم التجريبي إلى أوروبا — « رهبانية » وعزلة في الصوامع — بعيدة كل البعد عن مفهوم الدين المسيحي ، وما أخرجهم منها غير الإسلام بدعته إلى الكسب والسعى وتعمير الأرض ، ولكنها لم تثبت إلا قليلا حتى تحولت إلى « إباحية » مغرقة في الانحراف على النحو الذي يعيشه الغرب الآن ، وكان الفكر الغربي — الذي هو تراث أجيالهم — خليطا من هذا الركام والحطام الذي هو بمثابة أهواء البشرية ومعطيات طفولتها ، فما كان عند الغرب شيء له قداسة أو جلال ، ولذلك فإنهم نظروا إلى التراث نظرة الإهانة والاستخفاف وظنوا أن الأمر كذلك بالنسبة للإسلام .

لقد تكشف على يدي أعلامهم الذين قرأوا الفكر الإسلامي أن الغرب لم يكن له تراث إلا تلك الأساطير والخرافات المضطربة التي جمعها الأقباط والرهبان ، والتي لا يوجد منها إلا شيء قليل جدا من العطاء الحقيقي ، فلما جاء القرآن تدفق على البشرية مورداً ثراء عظيمًا من نعمة العلم الرباني الحقيقي الذي أفاءه على الإنسانية عن طريق الإسلام وعن طريق هذا النبي ، وهذه اللغة وهذا القرآن الذي خلد اللغة ، لقد انبثق عطاء نفسي وعقلي وروحي ومادي ما تزال البشرية منذ أربعة عشر قرنا تنتظر فيه فلا تستطيع أن تحيط به أو تستوعبه لعظمته وجلاله وقداسته وإعجازه اللغوي والعلمي جميعا .

هذه هي عبرة الفرق العميق بين تراث الغرب وتراث الإسلام ، وحتى الكتابين اللذين ورثهما الغرب (العهد القديم والجديد) تكشف في العقود الأخيرة حقائق حولهما تكشف عن بشريتهما ، فماذا لدى الغرب يحرص عليه من التراث ؟

وتجري مقولة التغريبيين وفي مقدمتهم الدكتور « زكي نجيب

محمود » حول تلك الدعوة العريضة المبجلة التي مازال يرددتها حتى ملها الناس ، وهي دعوته إلى خلط التراث بالمعاصرة لقيام منهج حضارى عربى ، وهو لا يتحدث عن الإسلام أبدا ، فهو تجاهل هذه الكلمة الشريفة ويعبر دائما عن أفكاره في إطار ما يسمه الثقافة العربية . ربما كانت الثقافة العربية إلا إسلامية الانتماء والوجهة ، فهو يقسم العاملين في الفكر الإسلامى إلى جماعتين جماعة السلفيين أو القرائيين الذين يرون أن التراث هو وحده القادر على العطاء في العصر الحديث وجماعة العصريين التقدميين الذين يرون أن الفكر الغربى الحديث هو القادر على العطاء ، ثم يتوسط الفريقين بذكاء ومكر شديدين فيحدث عن قاعدة يظنها تخدع أحداً فيقول : نخلط الزيت على الماء ، وما يختلطان أبدا . كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام القائم على التكامل والنظرة الجامعة مع فكر الغرب القائم على المادية الخالصة ؟ . كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام القائم على الوجدانية الخالصة بفكر الغرب القائم على التعدد والوثنية ؟ . كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام الذى يؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو نقطة البدء وهو غاية الوجهة مع الفكر الغربى الذى يؤله الطبيعة أو يؤله الإنسان أو يؤله المادة ؟

كيف يمكن خلط الماء والزيت ؟ كيف يمكن أن تقوم قوائم النهضة العصرية بإضافة تراث أمة عاشت أربعة عشر قرناً في إطار منهج جامع متكامل أضاء العالمين شرقاً ومغرباً مع فكر مادى ليس له رصيد قديم إلا الأساطير ؟ وأن كل ما فيه من قوة الآن وهو « التجريب » . فقد أخذه من الإسلام ونماه وصنع به حضارة العصر .

ماذا عند الغرب بعد هذا ؟ عنده قصص الدعارة والجنس التي أسموها الروائع وفرضوا علينا ترجمتها ، وعنده تلك النظريات الضالة التي تحمل أهواء النفوس وشهوات الغريزة التي تضمنتها

الوجودية والفرويدية وكتابات « نيتشة » و« شسر » « بودلير » وإباضيات (أوسكار وايلد) الذى أطلقوا اسمه على جوائز أمحش الأقلام وهى جائزة (الأوسكر) هذا الإباضى الذى كتب عن تجاربة المضيسة والتى كانت كتبه مصادرة فى أوربا حتى أعادها اليهود .

لعل دكتور « زكى نجيب محمود » ظن أن تراث المسلمين الذى يستطيع أن يخلطه بالمعاصرة هو تراث « الحلاج » « والسهروردى » وفلسفات « ابن سينا » و « الفارابى » و « ابن الراوندى » وغيرهم من الملاحدة الذين أحياهم المستشرقون ! .

ألا فليعلم أن فكر المعتزلة والفلسفات والتصوف الفلسفى كل هذا طارده علماء المسلمين وكشفوا زيفه ولم يقبلوا إلا ما كان متعلقا بالعلوم ، فلا حرج على كتابات « ابن سينا » و « الفارابى » فى الطب والعلوم ، أما كتاباته فى الفلسفة فهى مستفادة من علم الأصنام اليونانى ، وهى داخلة فى الفكر الباطنى الذى روجوا له كما كثيفت الأبحاث أخيرا ، بالرغم من دعاوى الدكتور « عاطف العراقى » الباطلة .

لقد وقف المسلمون من قبل موقفاً تاريخياً من الميراث القديم كله ، وكشفوا أخطاء « جالينوس » و « أرسطو » و (أفلاطون) وردوا كل ما فيه من الفكر الوثنى ، وما قبلوه منه صهروه فى بوتقة فكرهم الإسلامى الذى كان عطاء واسعاً فى مختلف مجالات العلم والفكر والثقافة ، والذى قدم للبشرية المنهج التجريبي فى مجال العلم ومنهج المعرفة ذى الجناحين ، والذى قدم نواميس الكون وسنن الحضارات والأمم فى قيامها وسقوطها ، إنه عطاء ضخم فى مختلف مجالات الحياة ، وفيما يتصل بالإنسان منذ يولد إلى أن يموت ، ومنذ أن يصبح إلى أن يمسى ولم تظفر أمة بمثله ، ذلك أنه

منهج ربانى المصدر ، إنسانى الوجهة لم يقدمه الحق تبارك وتعالى للبشرية إلا بعد أن بلغت مرحلة الرشد الفكرى وهو منهج باق وممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد جاء الإسلام ليعلن الانقطاع الحضارى بينه وبين ما قبله، وأن كل ما جاء قبله كان تمهيداً له ، ومن ثم فإن رسالة الإسلام قد وضعت فى إطار محكم وعقد لها منهجاً متميزاً هو امتداد حقيقى لجميع رسالات السماء ، ولكنه يفوقها بالعالمية وثبات القيم وقيام منهج الثوابت والمتغيرات فى داخل إطار واحد ومن هنا فقد قضى — تماماً — على كل الفلسفات السابقة والتي قامت على أساس الأساطير والوثنيات ، وكان من أعظم معطيات المنهج الإسلامى قيام الوحدة الثقافية الإسلامية تحت ضوء القرآن مع القابلية للتنوع تبعاً للبيئات المختلفة والعصور المتوالية ، وقدرتها على الانفتاح الدائم على الحضارات على أصولها الأصيلة وأساسها الذى لا يتغير . ومن ثم تتصهر القوى المختلفة فى داخلها ولا تتصهر فى أى قوة وكانت تلك هى أبرز ميزاتها : قدرتها على الثبات فى وجه محاولات احتوائها أو صهرها واحتفاظها بذاتيتها الخاصة وتميزها المفرد .

كيف يفهم الإسلام (المعاصرة)؟

« المعاصرة » : مصطلح حديث يراد به أمران :

إن الإسلام في حاجة إلى المعاصرة والتطور ، وإن الإسلام يعطى من شأن الأصالة أو السلفية أو المحافظة على التراث والقديم .
وهي دعاوى كلها باطلة بدليلين (١) دليل جوهر الإسلام نفسه الذى كان دائما قادراً على العطاء فى مختلف العصور والبيئات، ومقوماته المرنة الواسعة القادرة على تقبل كل تطورات العصر ونمائه الفكرى والاجتماعى والحضارى . (٢) ودليل التاريخ نفسه فمتى وقف الإسلام أمام التطور والنماء وحركة التاريخ ؟ ، إنه لم يجمد أبداً ، لأن الجمود لا يدخل إلا على الأشياء التى وجدت ولم تكن موجودة ، كما هو بالنسبة للغرب فى شأن العلم وشأن الثوابت والمتغيرات ، وفى شأن الموقف من توجيه المجتمعات والحضارة ومن القومية ، وموضوعات أخرى . .

أما بالنسبة للإسلام فالإسلام هو الذى فتح الباب أمام العلم حين دعا إلى البرهان والنظر فى السموات والأرض ودعا إلى السعى والعمران ، وكانت هذه المسائل جديدة على الفكر المسيحى الغربى فاضطرب لها ومن ثم قامت لديه فكرة العلمانية والانشطارية والتقسيم الفاصل بين الروحيات والماديات وغلبة المذهب المادى وإنكار الخالق وإرادته ، وإغراقه فى الفصل بين عالم الأفكار وعالم الأشياء ، هذا الفصل بين العلم والعمل الذى أدخل على الحضارة الغربية والفكر الغربى ذلك التمزق الشديد الذى أورث هذه الحضارة هذا الصراع الشديد بين الحتمية والجبرية .

إن الإسلام يقدر المعاصرة ويقدر التطور ويقدر حركة التاريخ

ويقدر المتغيرات ، ويقدر الانفتاح ، ولكنه يضع لكل هذه المعايير ضوابط وقوانين من شأنها أن تحفظ له جوهره وتحول دون تمزق كيانه القائم على التكامل بين المادة والروح ، والملتزم بالتوحيد الخالص ، والمؤمن بالمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي والجزاء الأخرى .

ومن ثم فإن المعاصرة عنده والتقدم لا يقومان من فراغ ولا يخليهما الجانب المادى ، لأن كل حركة فى الإسلام لا بد أن يتكامل فيها المادى والمعنوى ، وأن تكون الوجهة لله خالصة فى حركتها ، والإسلام يؤمن بالانفتاح ولكنه انفتاح منضبط ومشروع بحيث لا يؤثر على الطابع الإسلامى ، ولا يدخل المسلمين فى تبعية أو انصهار فى قيم مجتمعات أخرى .

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن العصرية والحداثة والتقدم لا يعرفون أن للإسلام فى ذلك قانونا واضحا ، ونظاما مقررأ ، ولكنهم يخدعون الناس حين يتحدثون عن التطور والتطوير ، ظنا منهم أنهم يستطيعون هدم القيم الثوابت وهم يتحدثون عن التطور بمفهوم الفكر الغربى المادى ، البشرى ، الذى هو مجموعة نظريات قدمها فلاسفة ثم اخترقتها المتغيرات ، فهى فى حاجة إلى إضافة وحذف وليس كذلك الإسلام الذى هو نظام ربانى : (إنسانى الوجهة عالمى النظرة) والذى قام على أساس (الثوابت) التى لا تتغير ولا تتطور و (المتغيرات) التى تتحرك فى داخل الثوابت ، أما دعاوى تطوير الشريعة وتطوير اللغة وتطوير القيم فذلك أمر كله من مؤامرات التغريب ، الذى يرمى إلى هدم الثوابت والحدود والضوابط التى وضعها الإسلام لحماية لوجود الإنسان وحماية لمجتمعه ، وهذا أيضا مما يختلف فيه المنهج الربانى (الإسلامى) والمنهج البشرى (الغربى) .

فالمعاصرة والحداثة والعصرية قائمة ويعترف بها ولكن بحدودها وضوابطها ، إيماننا بأن الإسلام لن يكون مبرراً لفساد المجتمعات وانحرافاتهما ولا لانزلاق الحضارة إلى المادية المخرقة والفساد الاجتماعي ، وهؤلاء الذين يطلبون من الإسلام أن يبرر وجود المجتمعات الفاسدة مبطلون فعلى المجتمعات أن تعدل من طريقها حتى تلتقى مع منهج الله •

ومرونة الإسلام وسماحته ووسطيته كل هذه أمور قائمة فعلا ولكنها لا تتجاوز دائرة (المتغيرات) أما دعاوى البعض بالبحث عن (الرخص) للاستعاضة بها عن العزائم فأمر لا يمكن أن يكون قاعدة أساسية لمجتمعات إسلامية تريد أن تبنى نفسها على أسس سليمة لإقامة حضارة إسلامية متجددة •

أما الخلط بين مناهج الغرب ومناهج الإسلام على النحو الذى قامت عليه تجارب بعض الأمم الإسلامية ، فى إطار العلمانية والقومية والاشتراكية وتلك المحاولات التى تجمع بين قيم متضاربة أو متعددة ، فكل ذلك مآله الفشل ، وقد فشلت تجارب تركيا وأندونيسيا وغيرهما فى اعتناق الديمقراطية والقومية والبرالية والفاشية والاشتراكية ، وليس هناك غير منطلق الإسلام نفسه السموح الوسط القسادر على العطاء الملتقى مع الفطرة والعلم • ولم تستطع أى دولة من هذه الدول التى اعتنقت هذه الأيدولوجيات أن تحقق أى قدر من التقدم الحقيقى ، وما تزال قابعة فى دائرة التبعية •

وثبت أن الثقافة الأوروبية ظلت بمثابة قشرة على سطح المجتمع ، ولم تلبث أن ظهرت طوابع الإسلام قوية وقد تبين أن الثقافة الغربية ليست عالمية كما تقدم نفسها للناس ، وإنما هى نتاج لاينجح خارج دائرة بلاده ، لأنه قائم على قيم ومناهج يونانية مسيحية وثنية •

وقد دخلت تركيا دائرة التغريب منذ خمسين سنة ومع ذلك فإنها لم تستطع أن تسهم بشيء ما في مجال التكنولوجيا ومازالت عالمة على الغرب ، وكل ما كسبته أنها فقدت هويتها الإسلامية ولو إلى حين •

وقد أكد كثير من الباحثين أن التبعية للثقافة الغربية ليس لها نتائج إيجابية حقيقية في تقدم العرب والمسلمين وإنما تؤدي إلى عكس ذلك وتظل موجهة إلى تحقيق هدف الغرب في السيطرة على العالم الإسلامي •

ولقد صنعت الحضارة الغربية — أساسا — من منهج التجريب الإسلامي ولكنها تجاوزت قيم الإسلام في فهم الحضارة ، وقوامها الرحمة والإخاء البشري وعدالة التوزيع ، واستعلت بالعنصر والدم على الملونين وأسرفت في تبديد الثروات الطبيعية التي أعطاه الله للبشرية في بناء مجتمع الاستهلاك والترف والفساد والانحلال ونسيت في هذا الطريق الوجهة الصحيحة ، وتجاهلت صاحب العطاء الحقيقي فأنكرت صلتها بالله تبارك وتعالى وادعت أن الطبيعة تخلق ، وتجاهلت جانب المعنويات واتجهت إلى السيطرة على العالم وإذلال العناصر غير البيضاء وإشاعة روح الرعب من إنتاج الأسلحة التدميرية والتنافس في السيطرة على الفضاء الخارجي وحرب الكواكب •

وهي بذلك تتقدم في طريق الفناء والسقوط من ناحيتين :

من ناحية تجاهل الوجهة الربانية الحقيقية للحضارة والمجتمعات :

ومن ناحية هدم مقومات الشخصية الإنسانية والأخلاقية وإشاعة روح الإباحة وثورة الجنس وهي لامحالة منهزمة •

ودلائل الهزيمة واضحة ، فقد غاضت الأرحام في الغرب ، وفي

خلال العقود الثلاثة القادمة سوف يتقدم عالم الإسلام تقدماً ، واسعا
في طريق النمو السكاني والثروة والطاقة ، وبذلك يتمكن من السيطرة
على مقدرات الحضارة العالمية .

ومن هنا فلا بد أن تنمو هذه الثمار في إطار الإسلام ومنهجه
ومسئوليّاته وفهمه لربه ولعطاءه ولإقامة مجتمعه وبناء حضارة
الإنسانية الكريمة السمحة القائمة على الإخاء البشرى والعطاء
والرحمة .

أصالة الصحوة

يدهش العلمانيون للصحوة الإسلامية ، ويعجبون ليقظة العملاق ، وقد كانوا يظنون أنهم استطاعوا ترويضه أو القضاء عليه من خلال تلك المؤامرة التغريبية التي اتصلت الآن أكثر من مائة عام والتي شاركت فيها — على مراحل متعددة — قوى الاستتسراق والتبشير والشعوبية والغزو الثقافي الغربي الليبرالي والماركسي ، والصهيوني من خلال سموم طرحت في المناهج الدراسية والثقافية ، ومن خلال حجب تطبيق الشريعة الإسلامية ومن خلال فرض النظام الربوي على الاقتصاد ، ومن خلال إفساد المجتمعات وخلق روح الإباحة والتحلل والشهوات والرشوة والنهب .

١١

وقد كانوا يظنون — بعد نكسة ١٩٦٧ — أن الأمر قد انتهى ، وأن المارد المسلم قد أسلم نفسه للموت ، وعلت الصيحات تتحدث عن الدولة العصرية العلمانية المادية التي تتخلص من آخر صلاتها بالدين والأخلاق والقيم والتي تقبل منهج الغرب ومفاهيمه ، وتستسلم للانصهار في بوتقته ، ولكن هذه القوى كانت واهمة لأنها لا تعرف حقيقة القوة الإسلامية الكامنة في النفس المسلمة وجذورها الراسخة في الأرض ، وكأنها لم تقرأ تاريخ الإسلام فتعرف منه أن الإسلام حين يتعرض مجتمعه للازمة ، فإن قوى داخلية تهب من أعماقه لتصحيح له الطريق .

إننا بالنسبة للغزو الصهيوني والسيطرة على بيت المقدس أشبه بالحمالات الصليبية التي هزمها المسلمون ودمروها وأعادوها مدحورة كليلة ، وإننا بالنسبة للغزو الثقافي أشبه بموقف المسلمين من ترجمة التراث اليوناني القديم ، وقفنا منه منذ اليوم الأول موقف

المراجعة والعرض على أصول الإسلام ، فما كان معارضا للتوحيد الخالص رفضناه ، وما قبلناه منه حولناه إلى مادة خام نشكلها داخل بوتقة فكرنا وبمفاهيمه وقيمه .

لقد جدد الإسلام تراث النبوة وكشف زيف تراث البشرية ، ونحن الآن نمر بنفس هذه المرحلة مرة أخرى ، بعد أن جددت التلمودية تراث السحر والأساطير والفكر الباطني وأعادته مصاغا صياغة جديدة على هيئة نظريات لها طابع علمي ، كما نراه اليوم في كتابات «فريزر» « وفرويد » و « ماركس » و (سارتر) و (دوركايم) ، وعلينا أن نفعل نفس الأمر ، إننا نواجه مرحلة شبيهة بمرحلة المسلمين بعد ترجمة الفلسفة اليونانية .

إن هناك محاولة يراد فرضها على الأمة الإسلامية وهي من شطرين :

الأول : أن يأخذ المسلمون أسلوب الغرب كاملا كما هو ، وأن يتجاهلوا منهجهم الرباني الأصل .

الثاني : أن يظلوا تابعين للغرب تبعية كاملة فلا يتمكنوا من إقامة مجتمعهم الرباني أو استئناف حضارتهم الإسلامية بمفاهيمها الصحيحة وهم يرمون من وراء ذلك إلى هدم الثقة بالنفس الإسلامية وتأخير هذه النهضة البارزة الآن للعيان وإجهاضها أو تحويلها عن وجهتها ، وذلك من خلال هذه المؤتمرات المشبوهة التي تعقد هنا وهناك وتجمع لها تلك الأسماء المختلفة الهويات من أجل الوقوف في وجه التيار الأصل ودفع المسلمين إلى السبل المتفرقة التي أوصاهم القرآن بأن يتجاهلوها وأن يجتمعوا على الطريق المستقيم .

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١) .

(١) الانعام / ١٥٣ .

نحن نعرف أن العالم كله الآن (والغرب على وجه الخصوص
بعد أن تكشفت له حقائق الأمور في كتبه المقدسة) يتطلع الآن إلى
ضياء الإسلام (لا بوصفه ديناً جديداً ولكن بوصفه دين الإنسانية
كلها ، أعيد الوحي به نقياً خالصاً ليرفع الخلاف الذي أوجده قادة
الأديان بغياً بينهم ففرقوا الناس أحزاباً وشيعاً كل حزب بما لديهم
فرحون) والإسلام اليوم يستطيع أن يشبع أشواق النفس الغربية
المتطلعة إلى العقل بمفهوم الإسلام الجامع بين العقلانية والروحانية ،
والمتطلعة إلى العدل بإعلاء الحق على الباطل ، والمتطلعة إلى الحق
بقبول ثبات القيم والتجاوز عن موروثات التقاليد الباطلة وبالصلة
بالله الواحد ، صلة خالصة ليس فيها وسطاء وبالمساواة حيث لا فضل
لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ولا لجنس ولا دم
ولا عنصر ، إلا بالتقوى هذه المبادئ التي أعلنها القرآن منذ أربعة
عشر قرناً ، وهذه المناهج التي قدمها والتي أخذها العلم الحديث
وأقرها ، وهذه الحقائق التي كشفها حين أعلن أن الكتب القديمة
كتبت بأيدي الأخبار والرهبان ، وقد جاءت مؤتمرات اللاهوت الأخيرة
تؤكد ذلك وتقره ولا تبرأ منه .

وجاءت تجارب الغرب نفسه لتثبت فشلها واحدة بعد أخرى :

في مجال الانتماء : فشلت الإقليمية والقومية .

في مجال الاقتصاد : فشلت الرأسمالية والربوية والماركسية .

في مجال النفس : فشلت الفرويدية وتبين خطأ نظرية الجنس
وفسادها .

في مجال الاجتماع : فشلت نظرية مدرسة العلوم الاجتماعية
(دوركايم) .

في مجال السياسة : فشلت نظرية الديمقراطية والفاشية
والدكتاتورية •

في مجال العلم : فشلت نظرية إخضاع العلوم للسيطرة العالمية •

في مجال الحضارة : فشلت فكرة الاستعلاء بالعنصر وحضارة
الرجل الأبيض •

في مجال المرأة : فشلت فكرة هدم الأسرة وإخراج المرأة إلى
المراقص وجعلها أداة جنس وتطالب المرأة اليوم بالعودة إلى بيتها •

في مجال البيولوجيا : فشلت نظرية التطور التي نسبت إلى
(دارون) وتقول بأن الإنسان حيوان •

في مجال الفلسفة : فشلت نظرية « نيتشة » في قتل الضعفاء
وسيطرة الأقوياء والإنسان الأعلى •

في مجال الأدب : فشلت نظرية إخضاع العمل الأدبي لنظرية
أن الإنسان تحكمه غريزة الجنس وغريزة الطعام •

في مجال الإنسانيات : فشلت محاولة إخضاع الإنسانيات
لنظرية المادة والعلوم التجريبية وتبين أن الإنسانيات لا تخضع
للمادة •

المشروع الحضارى الإسلامى

تطرح بعض المنظمات التى تحمل لواء القومية ماتسميه المشروع الحضارى العربى • وتحاول أن تضع له عناصر ذات أسماء إسلامية : كالعدل الاجتماعى ومواجهة الاستبداد والوحدة فى مواجهة البجزة ، وهى محاولة ترمى إلى تقديم المشوه فى وجه المنهج الإسلامى الأصيل ، وهى معاودة يائسة لمحاولة إعطاء المفاهيم القومية دوراً جديداً من خلال الأدوات والأرضيات التى كانت فى الماضى للتيار القومى الذى لم يفسح المجال فى العصر الحديث إلا لتيار مثله وقد استطاع خلال الستينات السيطرة على الصحافة والفكر والثقافة والتعليم وأعلن عن نفسه بكل الوسائل وطرح مفاهيمه فى كل اتجاه وأفق •

ومع ذلك فقد عجز عن أن يحقق شيئاً ذا قيمة ، لماذا لأن التيار نفسه مدخول ومضطرب ، وليس مطابقاً للضرورة وليس متصلاً بمواريث الأمة ، إن النظرية القومية الغربية التى طرحتها المنظمات الغربية فى الماضى ، والتى ما تزال متشبثة بها وتحاول تجديدها لن تحقق نمواً أو تقدماً لأنها منفصلة عن الأصالة ، ومن هنا فقد عجزت أن تحقق أشواق العرب لأنها فصلت نفسها عن أمرين هامين (١) عن المنهج الإسلامى (٢) عن الأمة الإسلامية • ولما كانت النظرية القومية الغربية وليدة الخلاف بين الكنيسة والقوميات فقد اختلفت تماماً عن (الوحدة العربية) التى هى وليدة الإسلام نفسه والتى لم تقف معه موقف الصراع ، ولكن القوميين حين تحدثوا عن العلاقة بين الإسلام والعروبة أعلوا شأن العروبة واعتبروا الإسلام مرحلة منها وتلك مغالطة واضحة والحقيقة الواضحة أن الإسلام هو الذى صنع

العروبة وأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا إلا قبائل متفرقة متصارعة وأن الإسلام هو الذى أعطاهم هذا الوجود الحقيقى ، وهو الذى فتح لهم آفاق الانطلاق إلى أقطار الأرض وأعطاهم القرآن الكريم الذى حفظ لهم وحدة اللغة العربية ، ومن ثم وحدة الأمة ، وإذا كان العرب يصرفون وجههم عن الإسلام كمنهج حياة فإنهم سيغرقون فى أوحال المذاهب الغربية المضطربة ، وإذا كانوا سيعلون شأن الجنس والدم والعرق ، ويخلقون حدودهم عن إخوانهم فى الوطن العربى الواسع الذين تجمعهم أخوة الدين والثقافة والعقيدة والفكر : فرساً ، وتركاً ، وهذا ، فإنهم يسرون فى غير الطريق الصحيح •

إن المفهوم الإسلامى هو تداخل الحلقات الثلاث وتكاملها : الوطن ، والقومية ، والإسلام (أمة وعقيدة) وقد تناثرت الحلقات عندما جاء النفوذ الاستعمارى فأعلى شأن الإقليميات وبعث تراثها القديم السابق للإسلام من أجل أن يمزق الوحدة الإسلامية السياسية الجامعة ، وقد تحقق له ذلك ، وأعانه عليه بعض الذين كانوا يحصون على الدولة العثمانية ضعفها وقصورها ، وكانت غاية النفوذ الأجنبى الأولى تحطيم الوحدة الإسلامية الجامعة وإلغاء الخلافة الإسلامية ، وفتح الطريق أمام الصهيونية إلى فلسطين ، فكنا لها عوناً ذلك ، غير أنه بعد أن سقطت الخلافة — إلى حين — تجمع العرب حول العروبة كحلقة يقفزون منها إلى الوحدة الإسلامية ، ولكن قوى تغريبية كثيرة حاولت أن تجعل العروبة غاية الغايات ووصفتها بالرسالة وبالنبوة ، وجعلت لها تاريخاً •

إن المشروع الحضارى الإسلامى هو منطلق الصحوة الإسلامية الحقيقية وإعطاء الحضارة الإسلامية دفعتها نحو العطاء مرة أخرى بعد أن توقفت ولن يكون ذلك إلا بالتربية وبناء الأجيال الجديدة على

روح الإيمان والغذاء ، والمرابطة في الثغور • إن المسلمين اليوم قادرون على بناء منهج علمي تكنولوجي إسلامي يفتح مفهوم الإسلام للعلم والحضارة •

لقد أعطى المسلمون اليوم ثلاث منجزات حضارية : هي المال والطاقة والتفوق البشري ، وإن الطريق أصبح مفتوحا إلى استثمار ثروات المسلمين في أرض المسلمين ، وإقامة السوق الإسلامية المشتركة وبناء الصناعات الإسلامية الثقيلة •

إن استعلان وجهة النظر الإسلامية في كل أمور الثقافة والمجتمع والاقتصاد والتربية ضرورة حتمية في مواجهة التيارين الساريين اللذين يسيطران الآن على الصحافة والثقافة • إن نفوز القوى الأجنبية مازال يحول بين المسلمين وبين منهجهم التربوي الإسلامي •

إن القوى الغربية تعمل على أن تهلك ثروة المسلمين في مجالات الترف والتحلل والفساد ، وهي ليست ثروة مطلقة ولكنها ثروة أمة تريد أن تبنى كيانها وتحمي وجودها وتحرر أرضها إن محاولة دفع المسلمين إلى آفاق التحلل والترف لبيع مواد الاستهلاك هي مؤامرة يراد بها القضاء على الثروة الإسلامية وتبديدها ، إن علينا أن نقيم دعائم المشروع الحضاري الإسلامي على تصحيح الأخطاء :

— تحرير المسلمين من التعليم العلماني وإقامة منهج التربية الإسلامية مع التعليم •

— تحرير الاقتصاد من الربا والحيولة دون استتراف الثروات وخراب البلاد بالقروض والربا •

(م ٣ — المعاصرة في إطار الأصالة)

— الشريعة الإسلامية لتحرير المسلمين من القانون الرضعى
والتحلل الاجتماعى •

— تحرير الصحافة العربية من نفوذ الماسونية والشيوعية
والبهائية •

— تحرير الجامعات من نفوذ المدارس الفلسفية الممطرة
الاستشراق الغربى والروسى والصينى •

العودة إلى المنابع لا « التتوير »

العودة إلى المنابع : هى صلب دعوة مدرسة الأصالة التى حمل لواءها الإمام « أحمد بن حنبل » حين صاغها الإمامين « ابن تيمية » « وابن القيم » فى منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله المجاهدون جيلا بعد جيل ، فلم يخل منه جيل حتى اليوم •

وهناك من يطلق على هذه اليقظة كلمة « التتوير » : وكلمة التتوير كلمة صهيونية ، تعنى إخراج الفكر الغربى من صبغته المسيحية إلى طابع العلمانية والإلحاد وهى المرحلة التى سيطر فيها اليهود على الفكر الغربى لإخراجه من سماحة المسيحية إلى « تأمر اليهود » على البشرية والبدء فى إخراج مخططهم الذى عرف من بعد باسم « بروتوكولات صهيون » والذى بدأ بتحريف دوائر المعارف الأوروبية وإخراج مادة (خزر) منها وتشويه مواد العرب وفلسطين واليهود وإسماعيل وغيرها ، وذلك فى سبيل الادعاء بأن اليهود حقا فى فلسطين وبأنه كان لهم وجود قبل العرب (وهذا ماكشفت فسادة الأبحاث العلمية والخفريات الأثرية) •

ويسجل المطران « إيليا خورى » أن الصهيونية هودت الديانة المسيحية فيقول : « لقد تعايش المسلمون والمسيحيون أربعة عشر قرنا وتفاعلوا فى الحياة الوطنية ، فعاشوا فى السراء والضراء مدافعين مناضلين عن الحق العربى واليوم فهناك من يقولون بأن المسيحية الغربية هودت الديانة المسيحية ، هذا ما يقلقنى ، لأن اليهودية والصهيونية العالمية استطاعت أن تؤثر على تلك القوة فبدلا من أن تجعلنا قوى فاعلة فى سبيل الخير والسلام جعلت منا أمة تدعم أعداءها بالسلاح والمال » •

ولذلك فإن الصحوة الإسلامية التي نعيشها الآن ، والتي تتآمر القوى الثلاث على إجهاضها أو تدميرها إنما نشأت نشأة طبيعية من خلال مفهوم أصيل لليقظة والأصالة والعودة إلى المنابع ، وقد مضت خلال عقود مختلفة حتى دخلت اليوم مرحلة « الرشد الفكري » لقد صدرت الصحوة الإسلامية من « المنابع » الأولى وليس من أى مصدر آخر ، وإن هذه المحاولة ترمى إلى صرفها وتحويلها واحتوائها • لقد كان الإسلام قادراً دائماً على التجدد من الداخل وعلى انبعاث النهضة من أعماقه حين تقع كل الأمة في أزمة التخلف •

ومن الحق أن تؤمن أن كل نهضة غير متصلة بالمصادر الأولى فهي نهضة زائفة ويمكن أن تضل طريقها ، وهذا ما يحاوله التغريب مع الفكر الإسلامى حين يحاول حجب الأدب والثقافة المعاصرة عن جذورها وأصولها الإسلامية تحت اسم عازل مثل الفكر العربى أو الثقافة العربية والحضارة العربية بديلاً عن الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية ، وهذه — ولا شك — أخطر التحديات ، فلنحدد هذه النغمة الضالة المضلة ، وعلينا أن نظل مرتبطين بأولياتنا الإسلامية وأصولنا التاريخية •

ومن أشد المخاذير خطراً الفصل بين القيم ، أو الفصل بين الفكر والتطبيق ، فالإسلام منظومة جامعة للأدب والعلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع وإن من أخطر ما واجه الغرب فكرة «ديكارت» التى تفصل بين الفكر والتطبيق ومفهوم الإسلام هو النظرة الجامعة بين الكون والحياة ، والمجتمع والإنسان ، وقيام المسؤولية الفردية والنظام الاخلاقى والجزاء الأخرى • وفى مجال التربية تقوم التربية على الترابط بين بناء الشخصية والنفس والجسم والعقل جميعاً ، وتقوم حركة الترجمة الإسلامية على أساس تقديم إطار كامل لكل

فكر يقدم ، ومعرفة ظروفه وعصره ، وتحديات عصره ، ومدى
التقاءه بفكرنا الإسلامى أو اختلافه عنه .

والأمة الإسلامية اليوم يجب أن تكون يقظة لا تقبل الأمن
الخادع ولا بد من إنماء فكرة أن يكون قومنا فى رباط دائم واستتفار
مستمر ، ويقظة لا تعرف الاسترخاء ، فالعالم الإسلامى مستهدف
من أعداء البشرية وخصوم الإنسانية ، فأمتنا يجب أن تكون قادرة
على الردع والدفاع والحماية كذلك فإن من أخطر المحاذير أن نفسر
تاريخنا الإسلامى بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية ، وهى محاولة
فاشلة ولن تجد فى هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية أى قبول لها
كذلك فإن القول بأن الحروب الصليبية هى صراع بين العرب وأوروبا
هو قول باطل تماما ولا دليل عليه ، فمتى كانت هناك عروبة تصارعها
أوروبا فى هذه الفترة ؟ وكلمة العروبة كلمة حديثة لم تستعمل إلا منذ
سبعين عاما على الأكثر .

وغاية الأصالة والعودة إلى منابع تنصب على رفض مقولة
كتاب التغريب بأن أسلوب الغرب هو المنطلق الذى يستطيع به
المسلمون أن يحفظوا كيانهم ، ويحققوا وجودهم ويقيموا مجتمعهم ،
وقد كانت هذه دعوى خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة منذ
أثارها « طه حسين » « ومحمود عزمى » وغيرهم ، وقد تكشف
بطلانها منذ انتزعت (القدس) من أيديهم المسلمين وثبت فشل
المنهج الليبرالى الغربى بعد الحرب العالمية الأولى ، كما ثبت فشل
المنهج الماركسى الاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية . إن ماظنوا
أنه عامل موصل للنهضة تبين أنه عامل عازل يسلم المسلمين والعرب
إلى الاحتواء الكامل والانصهار فى بوتقة الأممية العالمية .

البناء على الأساس

في العالم اليوم ثقافات متعددة تقبل قانون التبادل والانفتاح وتحافظ في نفس الوقت على وجودها الأصيل وملامحها الحقيقية ، ولا توجد ثقافة يطلب منها أن تتنازل عن مقوماتها الأساسية وأن تقبل التلقى والتداخل والانصهار كما يطلب دعاة العصرية والتقدمية والحداثة من الثقافة العربية الإسلامية . وما من أمة من الأمم قبلت أن تتنازل عن ارتباطها بماضيها وقيمها الأساسية ، حتى الأمم التي غيرت وجهتها الأيدلوجية تغييرا تاما كالسوفيت ، وما يزال « زكي نجيب محمود » و « حسين فوزي » و (فؤاد زكريا) يلحون على هذه الأمة أن تقبل الفكر الغربي مادامت قد قبلت الحضارة المادية الغربية (كالألات والأدوات والمصانع) ولا أدري من أي نظرية من النظريات يمكن إقناع المسلمين وحدهم بأنهم ماداموا قد ركبوا الطائرة واقتتوا أجهزة « التلفزيون » فإن عليهم أن يقبلوا فكر الحضارة الغربية ؟ وما علاقة هذه المعطيات المادية للحضارة بأسلوب العيش الغربي ؟؟ إن هذه الأدوات الحضارية هي أجهزة تصلح للاستعمال بادخال الفكر البوذي أو الفكر الماركسي أو الفكر الإسلامي إليها دون أن يكون هناك حرج عليها في تقبله فلماذا هذا الإلحاح الشديد والمتصل بأنه من الضروري قبول فكر الغرب مادامنا قد استعملنا أدوات حضارته ؟ . إن هذه الأدوات هي نتاج التجريب المادي الذي تقوم به المعامل والأنابيب ، وهو المرحلة المتقدمة من منهج صنعه المسلمون أساسا ، فلماذا يطالب المسلمون بأن يقبلوا فكر الغرب وهو فكر مادي ، وثني ، انشطاري ، يقوم على أساس واحد هو إنكار الماورائية ، وتجاهل الصانع الأكبر ، والاعتداد بالقدرة البشرية ، وتوجيه الصناعة والحضارة إلى استنزاف الثروات

وإشباع المطامع والشهوات وخلق طابع الاستهلاك والترف وهو ليس أحسن الأساليب لاستعمال أدوات الحضارة ، وليس المنهج الاقتصادي سواء الرأسمالي الحر أو الاشتراكي المقيد بالأسلوب الأمثل بالنسبة لاستغلال الثروات .

ولقد أخذ العالم الإسلامي بالليبرالية والاشتراكية وفكرة الدولة القومية ولم يستطيعوا أن يتقدموا خطوة على طريق بناء مجتمع الرخاء والأمن بل أصبحوا أداة تابعة محتواة للتيار الغربي المتصارع ، وقد وصلت الحضارة وأيدلوجياتها إلى مرحلة الاضطراب الشديد ، وارتفعت الصيحات تدعو إلى نظام عالمي جديد ، وقد تبين بوضوح الحد الفاصل بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب (بنسقيه) والثقافة تعبير عن أصالة الأمة الخاصة ومزاجها وروحها وذوقها ووجدانها ، وهناك محاولات لتميع هذه الثقافة عن طريق الأعمال السينمائية والمسرحية التي تريد إقحام عادات الغرب وتقاليدهم على أمتنا ، وفرض النموذج الغربي وأسلوب العيش بكل مفاهيمه للأسرة والعرض والأخلاق تحت استغالة العزلة بين الثقافات . والحقيقة أن هناك سداً مانعاً عالياً مرتقفاً لا يمكن اقتحامه بين أصول ثقافات الأمم ولكن هناك التقاء واقتباس وتبادل فيما دون ذلك من علوم ومعارف .

ومن أجل أن يفرض الغرب ثقافة وأسلوب عيشه يدعو إلى الحرية والحداثة التي تفصل الحاضر عن الماضي وتنتظر إلى التراث نظرة الازدراء ، وقد اختلط تراث الإسلام بميراثه السماوي الرباني فأعطاه قوة وأصالة وفطرة ، وفرضه في جذور قلوب الرجال وضمائرهم فلن تستطيع قوة من قوى التغريب أن تصهره أو تنتزعه . ولا يمكن المزج بين التراث الإسلامي وبين فكر الغرب المعاصر ولكن يمكن الالتقاء على قاعدة الإسلام نفسها وهي قاعدة (البناء على الأساس)

تأخذ الأدوات كما أخذت اليابان وتحتفظ بذاتيتها وقد بلغت اليابان أرقى درجات العلم والتكنولوجيا دون أن تفقد ذرة واحدة من تراثها (وهو تراث وثنى) فما بالك بالميراث الإسلامى الربانى الأصيل الذى سوف لا تجد البشرية بعد قليل سبيلا غيره تسكله ، وقد جربت كل المناهج والأيدلوجيات وشهدت فشلها وسقوطها وعجزها عن عطاء النفس الإنسانية .

إن الغرب لا يطمع إلا فى صهر المنطقة الإسلامية فى بوتقته ، ودفعها إلى التسليم الكامل لحضارته العالمية المادية التى تجنح إلى الغروب ، كذلك فقد انكشفت مؤامرة الدعوة إلى محاربة الغرب بنفس سلاحه وهى التى حمل لواءها التغريبيون خلال العقود الثلاثة الماضية فقد كانوا يخدعوننا بأن اعتناق ثقافة الغرب هو الذى يعطينا القدرة على استخدامها سلاحاً ضد الغرب نفسه ، وقد جربنا وتبين لنا أنها من الأهواء المضلة . إن هذه الولاية لثقافة الغرب هى التى كونت هذه القيادات المسيطرة اللامعة الأسماء فى مجال الصحافة والثقافة والتعليم ، وهى التى وسعت رقعة الاحتواء والولاء .

يجب أن تنمو فى العقل الإسلامى والنفس الإسلامية حصانة قوية . وشعور بالخطر على التراث والميراث ، لأن مؤامرات القضاء عليهما مستمرة ، ومحاولات طمسها تجرى من كل طريق ، وكلما كشفت مؤامرة خلقت مؤامرة من نوع جديد ، ترمى كلها إلى استدامة السيطرة على العقل الإسلامى والكيان الإسلامى ليكون تابعا وخاضعا لامبراطورية الربا والسيطرة العالمية .

ومن هنا كان لابد من وضع قاعدة البناء على الأساس موضع التطبيق بالنسبة للفكر الوافد وبالنسبة للفكر القديم الذى كان بعضه متصلا بدوائر الزنا دقة والمجوس ومدارس حران وطوس ، والمدارس الهلينية والغنوصية والأفلوطينية ، والذى يتجدد الآن — على أيدي

العلمانيين والماركسيين • ومن هنا يجب أن يبرز تيار الفكر الإسلامى
الأصيل المستمد من مفهوم أهل السنة والجماعة •

ونحن نعرف أن الثقافة مرحلة بعد التعليم والتربية ، وكلها
يجب أن تستقى مصدرها من المفهوم الإسلامى الأصيل ، وقد تبين
أن الثقافة الغربية التى احتضنها المسلمون والعرب فى العقود الماضية
لم تكن ثقافة عالمية ، ولكنها كانت تجارب مضطربة لغرب أوروبا
وحدها ، وكان الغرب يضع تجاربه لنفسه ثم يفرضها على الآخرين ،
وإن التجربة الماركسية لم تكن إلا رد فعل للتجربة الرأسمالية ،
وكلتاهما تجربة واحدة غربية الأمم لم يقدم لها دينها منهاجاً للحياة
ولا نظاماً للمجتمع فظلوا يتخبطون ومازالوا ، وكيف يستعير المسلمون
أصحاب المنهج الربانى الأصيل الجامع ، من ركام الزيف وحصاد
الهشيم ؟ لا ريب فعند المسلمين المنابع الحقيقية للنفس البشرية
والعطاء الكريم لمواجهة مختلف تحديات المجتمع البشرى المعاصر، ولقد
ثبت فشل التبعية فى محاولة تركيا ومحاولة أندونيسيا ومحاولة بعض
البلاد العربية فى التبعية للمناهج الغربية ، وفى تركيا ظلت الثقافة
الغربية قشرة على سطح المجتمع التركى الذى احتفظ بترائه الإسلامى
ولم يجد فى التجربة الغربية ما يحميه أو يقيمه ، وفشلت التجربة
العلمانية الكمالية والقومية الاشتراكية الغربية ، وثبت أن الدعوة
الإسلامية وحدها هى القادرة على العطاء الصحيح • فهل
يفسخ لها المجال لتكشف عن جوهرها ؟؟ إنها ما تزال محاصرة حتى
الآن !!

فوارق عميقة بين المنهج الرباني والمنهج البشري

إن هناك محاولة لاحتواء اليقظة الإسلامية ، فالتغريبيون يرون أن (العودة إلى الدين) ظاهرة خطيرة وأن : - حدث بعد نكسة ١٩٦٧ حركة مفاجئة لتقديراتهم لم يكونوا يحسبون حسابها ، ولم يستطيعوا فهم دلالاتها ، ذلك أنهم كانوا يظنون أن مراحل التخريب والاحتواء قد وصلت من خلال اللبرالية والماركسية ونفوذ المدارس الفكرية المادية والمليحة إلى مرحلة « الإجهاز » ، وقد ظنوا أن نكسة ١٩٦٧ هي بداية النهاية ، ولكنهم عجبوا حين شاهدوا الأمة الإسلامية وهي تتطلق من القمقم كالمارد ، وتلتهمس الأصالة والعودة إلى منابع ، وإحساسهم بالمفاجأة - على حد قول أحدهم - دليل على جهلهم بأمرين خطرين (أولاً) مدى عنق الميراث الإسلامي في النفس المسلمة (ثانياً) استجاشته عند لحظة الخطر كما حدث في الأزمات الكبرى التي واجهت العالم الإسلامي في المراحل الماضية لقد ظنوا أن الآفتين الكبيرتين اللتين انطلقتا في أفق الإسلام كالغمام الأسود : القومية الغربية والماركسية وما أتاحته لهن بعض الأنظم من فرصة للحركة سيقضيان على الإسلام ، فلما وجدوا أن الأصالة قد نادى رجالها وصفوا هذه الأصالة : بالرجعية والجهود والتخلف والتراثية والسلفية وجهلوا الفوارق العميقة في تفسير المصطلحات ، والفروق العميقة بين التراث الإسلامي والغربي ، وبين اللغة العربية واللغة اللاتينية ، وبين السلطة الإسلامية التي هي انبعاث للقيم والسلطة الغربية التي هي انبعاث للأساطير والفلسفات الغنوصية .

ومن هنا جاء التغريبيون لمحاصرة التيار الإسلامي والمد الإسلامي والصحو الإسلامية في دعوة لاقتسام الأرض بين الماركسية والقومية والإسلامية ، وهي محاولة مضللة باطلة ، وهم يعلمون أن

التجربتين القومية والماركسية بل والبرالية أيضا تلك التي أجريت في بلاد العالم الإسلامي قد أثبتت عجزها عن العطاء الحقيقي ، وأن المفاهيم الإسلامية الربانية لا يمكن أن تدخل في مبارزة مع أيديولوجيات الفكر البشري التي عجزت عن العطاء لأممها والتي افتقرت إلى الإضافة والحذف مرة ومرة حتى تستطيع مواجهة متغيرات البيئة والعصر .

ومن هنا فإن هناك محاولتين هما أشبه بالمؤامرة :

أولا : مساواة الفكر الإسلامي بالفكر البشري ، والدعوة إلى المقارنة بينهما (مع تبين قصور النظرية القومية والنظرية الماركسية وانشطارية الفكر الغربي كله بقيامه على الفكر المادي وتجاهله تجاهلا تاما النظرة الإنسانية الإسلامية الأساسية الجامعة بين المادة والروح ، والعقل والقلب) .

ثانيا : الدعوة الباطلة المبسطة لإدخال ما يسمى ثقافات ما قبل الإسلام ، وهي ثقافات لم يثبت لها وجود حقيقي من قيم أو لغة أو آداب ، وهي ليست إلا مجموعة من النصوص المستقاة من وثنيات بابل وآشور ، جمعت بأيدي بعض الدعاة في سبيل سد الفراغ بعد ذهاب الكتب الأصيلة المنزلة .

وليكن معلوما أن الإسلام قد أحدث (انقطعا حصاريا) كاملا وأن كل الدعاة الذين دعوا إلى الفرعونية والفينيقية والآشورية البابلية لم يجدوا تراثا ولا لغة ولا ثقافة ، فسقطت دعواهم ، وقد ترجم أصحاب الأديان صلواتهم إلى العربية بعد اختفاء اللغات القبطية والسريانية .

إن الظن بأن العرب سيرفعون شعار العلمانية سواء كانوا

ليبراليين أو ماركسيين ظن خاطيء ، وسوف لا يتحقق ، انطلاقاً من شرعية الدساتير التي اعتبرت الشريعة الإسلامية مصدراً للقوانين ، والإسلام دين الدولة ، فليصرفوا أنفسهم عن هذا الأمل الخادع ليعلموا أنه لا سبيل إلى تلاقى التيارات القومية والماركسية مع التيار الإسلامي إلا على أساس واحد : هو أن الإسلام عقيدة هذه الأمة وملاذها ومنطلقها ومصدر ثقافتها وهو الأعلى ، وهو قابل للانتماء العربى ولكن بمفهوم آخر غير منطلق نظرية القومية الغربية الوافدة ، وهو قابل للعدل الاجتماعى ولكن بمفهوم مختلف عن مفهوم الماركسية ، وهو متقبل لكثير من المفاهيم الإنسانية بشرط أن تصدر عن تكامل جامع بين العنصرين المادى والمعنوى ، وإن كان ما فى هذه الأيدولوجيات موجود فى الإسلام فالإسلام يقدمه على نحو واسع الأفق ، مرناً ، قادر على مواجهة التحديات ومصاحبة متغيرات الأمم والبيئات ، أما إذا لم يكن موجوداً فى الإسلام فالمسلمون بحاجة لهم به .

وعلى الذين يريدون من الإسلام (التبرير) الأخطاء المجتمعات والحضارة أن يقصروا ، فالإسلام حاكم للمدنيات والمجتمعات ، وعلى المجتمعات والحضارة أن تعدل نفسها لتلتقى به ، وعلى الذين يصارعون الفكرة الإسلامية ويستعلون عليها ويسخرون منها بالمصطلحات (التراثية والسلفية) وغيرها أن يعلموا أن هناك أفقا جديداً قد أشرق فى الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه المنقذ ويتحفظ فى النظرة إلى الأيدولوجيات وإلى الكتب القديمة بعد التجربة المريرة التى تمر بها المجتمعات الغربية اليوم فى مرحلة الغربة والتمزق ، وتسلب الغرائز والشهوات واندفاعات المخاوف من الحروب الذرية وسيطرة الأمم ذات الحضارات العريقة رغبة احتوائها وصهرها فى بوتقة الأممية العالية .

ولقد ترددت فى السنوات الأخيرة كلمة أزمة العقل العربى

وأزمة الثقافة العربية وهى أزمة معروفة لها طرفان ، طرف بين الغربيين (الذين يسمون أنفسهم المثقفين تحرراً من وصفهم بالماركسى أو اليسارى أو الاشتراكى أو القومى) والأزمة عندهم تتركز على هزيمة الفكر الإسلامى وتراثه ولغته وقيمه وتاريخه ، وسيطرة النموذج الغربى والأيدلوجية الغربية المادية العلمانية الإباحية ، أما الأزمة بالنسبة لعالم الإسلام فهى تلك المطروحات المسمومة الملقاة فى أفق الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية التى يجرى المدافعة عنها عن طريق القوى الثلاث : الصحافة والمسرح والبث الإذاعى والتعليم . ولقد جاء التناقض وجاءت الازدواجية نتيجة لفرض المناهج الغربية على العقل الإسلامى (ولا نقول العربى) والنفس الإنسانية التى لها منهجها القرآنى الذى استقر فى أعماقها منذ خمسة عشر قرناً ، وحيث لا تجد القيم الإسلامية الفرص المتاحة للتعريف بحقائقها فى الصحافة أو التعليم أو أدوات الإعلام :

(أولاً) : لا يوجد عقل عربى ولا ثقافة ، والعقل العربى عقل إسلامى أساساً حتى بين غير المسلمين ، والثقافة العربية انتمائها إسلامى لأنه لما كان الإسلام هو المصدر فإن الثقافة إسلامية والحضارة إسلامية والعقل إسلامى ومحاولة فصل نتاج العصر عن المراحل السابقة مؤامرة .

(ثانياً) الأساس فى بناء أى نظرية تربوية أو ثقافية أو اجتماعية هو الإنسان ، فما هو الإنسان فى نظر الإسلام : روح ومادة ووضعه فى الكون متخلف (إرادة — مسئولية — التزام أخلاقى) .

(ثالثاً) : المنهج الإسلامى جاء لبناء الإسلام وحمايته على نحو يحول بينه وبين تحديات (الأزمة والجمود والاحتواء) وإعطاء علاج التحديات الثلاثة .

ولقد وقع العقل الإسلامى فى أزمة لأنه تخلق عن المصباح
المضى ، أما الفكر البشرى فقد عجز عن الأخذ بيد الإنسان فى كل
أزماته ، بينما أرسى الإسلام له القواعد القادرة على الخروج من
الأزمات ، والمسلمين لا يرفضون المعاصرة ولا يتشبثون بالتراث ،
ولا يقبلون جانباً من المعاصرة وجانباً من التراث ، بل يقيمون المعاصرة
والتراث على قاعدة الأساس : المنهج القرانى •

لا تسليم لما فرضته متغيرات العصر وأزماته ولا تبرير له
ولا توقف عن الحركة فى الاتجاه الأصيل ، ونحن نعلم أن المسلم
لا يقع فى دائرة الجمود إلا إذا ترك منطلقه القرآنى ، ولا يقع المسلم
فى دائرة الاحتواء إلا إذا تجاوز الأساس الإسلامى إن المسلمين فى
هذه المرحلة ليسوا فى حاجة إلى الفيلسوف ، ولكن إلى المصلح الذى
يقارن بين النظريات ويكشف حقيقة الأمور فى ضوء تكامل المفهوم
الإسلامى (العقلى والوجدانى) حيث لا فصل بين القيم العقلية
والروحية ، وهذا الفصل الذى يدعو إليه العقلانيون اليوم هو أكبر
خطيئة ، وهو الخطر الذى وقع فيه (ديكارت) وانسأقت من ورائه
حضارة الغرب • إن المسلمين يؤمنون بأمرين (١) تكامل العقل والقلب
(٢) تكامل الفكرة والتطبيق •

إن علينا أن نواجه المؤامرات الخارجية ونكشف زيف سمومها ،
وندعو إلى بلورة منهج إسلامى أصيل ، قرآنى المصدر ربانى الوجهة
إنسانى الهدف •

أشواء منهج الإمام الغزالي بعد تسعمائه عام

كتب إلى الأستاذ الجليل الدكتور « زكى على » - المهاجر الإسلامي والمجاهد النير في « جنيف » منذ خمسين عاماً - يذكرنا بموعود ذكرى عزيزة نالية على نفوسنا جميعاً وهي مرور تسعمائه عام على ميلاد الإمام أبي حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥ هجرية) وأعتقد أن أحق الناس بأن يحدث لواء هذه الذكرى هم رجال الدعوة الإسلامية الذين قنم لهم هذا الإمام الجليل زاداً طيباً وافراً من العطاء القادر على بناء النفس المسلمة وحمايتها من غوائل الأهواء ، وما يزال كتابه (إحياء علوم الدين) زاداً طيباً وافراً لكل متعلم ومؤمن ، فقد كتبه في نفس الظروف التي يمر بها المجتمع الإسلامي هذه الأيام والمسلمون يواجهون طلائع التحديات الصليبية التي أخذت تقتحم المجتمع الإسلامي اقتحاما ، فلم يكن أمامه إلا دعوة المسلمين للعودة إلى منابع والناس الأصلية وإعادة فهم علوم الدين فهما متجدداً أصيلاً مستهدداً من القرآن والسنة في مواجهة غوائل الفلسفات اليونانية التي بهرت الكثيرين ، وأفسدت عقولهم ، ودفعتهم إلى دائرة الاحتواء .

يتميز الإمام الغزالي بأنه من أبرز نهضى المفاهيم ، وأنه هو الذى أوقف تيار الفلسفة اليونانية التى هى علم الأصنام من أن تستشرى فى الفكر الإسلامى ، ولقد واجه الإمام الغزالي عدداً من خصوم الإسلام كالباطنية والدهرية وفلاسفة الإلهيات وعلماء الكلام، وشجب مفاهيمهم جميعاً وأعلن أن « أسلوب القرآن » هو أعلى الأساليب وأبلغها وأدقها وأقربها إلى مختلف العقول والنفوس ، وأنه أصدق من أسلوب المتكلمين وأنفع وأعم وأشمل للطبقات والمستويات الفكرية المختلفة ، وأن علم الكلام علاج مؤقت نشأ فى

ظروف معينة للرد على شبهات وشكوك مثارة ، ولا حاجة للطبائع السليمة والعقول المستقيمة إليه ، أما (القرآن) فهو الغذاء الصالح والماء السائغ يحتاج إليهما كل إنسان وينتفع بهما ولا ضرر منه ولا خطر ، بينما كلام المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون .

وواجه الإمام الغزالي الفلسفة فأثبت حقها في مجال العلوم : الطبيعية والرياضية وهاجم (الفلسفة الإلهية) وقال : إن أغلب هذه العلوم (الفلسفة الطبيعة والرياضية) أمور برهانية ، وأنه لا يخدم الإسلام إنكارها ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات ، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية أما الفلسفة الإلهية ففيها أكثر أخطائهم ، وقال : إنهم ما قدرُوا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ، ويرجع ذلك إلى أن الإلهيات ليست كالعلوم الأخرى (الرياضية والطبيعية) وليس لها مقدمات ومحسوسات ومبادئ و (لهذا كثرت فيها أغلاطهم وتخيلاتهم) . وقال إن خطر الفلسفة على أذهان الناشئة هو أن (يجدوا أصحابها مع رزانة عقولهم وغلظة علمهم منكبين للشرائع والنحل ، جاحدين لتفصيل الأديان والملل ، وقد ألحدوا وأنكروا الدين تنظراً وتكاساً) ، ووجه إلى (تهافت عقيدة فلاسفة اليونان) وتناقض كلماتهم فيما يتعلق بالإلهيات ، وأن هذه المسائل ليست حقائق علمية :

وحصر الإمام الغزالي خلافه معهم في ثلاث مسائل :

١ — قولهم بقدوم العالم .

٢ — قولهم بأن الله سبحانه لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص .

٣ — إنكارهم بعث الأجساد وحشرها • وقال إن هذه المسائل
الثلاث لاتلائم الإسلام بوجه •

ومن هنا فإن الحملة التي توجه إلى الإمام « الغزالي » في عصرنا هذا بأنه خصم للفلسفة والعلم دعوى باطلة وإنما هاجم الغزالي (الفلسفة الإلهية الإغريقية الوثنية) التي لا تتفق مع عقيدة التوحيد ، وكشف عن أثر هذه الفلسفة في نفوس من يتمسحون بها ليثيروا الشكوك والأوهام حين ينكرون الأديان والشرائع ، ولم يهاجم الإمام « الغزالي » إلا ما يصادم الشريعة من أفكارهم على نحو علمي بين فيه ضعف استدلالهم وتناقضهم واختلافهم وتهافت عقيدتهم • وقد استطاع الإمام « الغزالي » بقدرته الفكرية العريضة أن يستصفي الفكر الإسلامي من الدعوات المنحرفة التي اتصلت به عن طريق الشعوبية والباطنية في محاولة لتغيير مفهومه أو هدم مقوماته ، فرد على كل هذه الفرق وكشف عن دسائسها وشبهاتها الخفية الدفينة •

وكان مجمل دعوته التماس مفهوم الإسلام من القرآن باعتباره المصدر الأصيل الذي بدأت منه رحلة الفكر نفسه ، باعتبار أن منهجه وأسلوبه هو أصفى الأساليب وأقومها وأبسطها وأبعدها عن التعقيدات، فضلا عما له من (منطق) خاص يتصل بالفطرة والفروق ، وبذلك أعاد « الغزالي » صياغة الفكر الإسلامي من جديد • وقد اختار الإمام « الغزالي » منهج (التعليم والثقافة) بدلا من أسلوب (الجدل الكلامي) وناقش المسائل على أساس (العقل المتأدب بالشرع) وهكذا تخطى الإمام « الغزالي » منهج المتكلمين إلى منهج القرآن نفسه ، وفي هذين أعطى حركة اليقظة الإسلامية التي نعيشها

(م ٤ — المعاصرة في إطار الأصالة)

اليوم الضوء في أن تسلك نفس الطريق : طريق التعليم والتربية ،
وطريق القرآن •

ونحن الآن بعد تسعة قرون نواجه من جديد حملة مركزة على
الإسلام أشد وأعتى من الحملة التي واجهها من خلال الفكر اليوناني
والحروب الصليبية التي رفع منارتها « الغزالي » و « وابن تيمية » •

لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من كل جوانبه

إن الرائد لا يكذب أهله ، وإننا يجب أن نواجه أمتنا بالحقائق الصحيحة ، وأن ننصح لها من منطلق المسؤولية الملقاة على عاتق أصحاب الأقلام ، والعهد الذى أخذه الله تبارك وتعالى على كل صاحب علم ، ومن منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن نكشف لها أبعاد التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية ودينها ولغتها وقرآنها وتاريخها فى هذه المرحلة الدقيقة ، وأن نؤكد لها أولا وقبل كل شئ أنها على الحق المبين ، وأن كل مسلم على ثغرة من ثغور العقيدة والأمة ، وأننا يجب أن نوطن أنفسنا أن نكون فى رباط دائم ، فقد أعلن إمام هذه الأمة ونبيها وهاديتها أنها فى رباط إلى يوم القيامة . وأن نثق بنصر الله القريب الذى تبدو أضواؤه واضحة من وراء هذه الغيوم ، وأن نؤمن بأن كل الأيدلوجيات والمناسهج والدعوات والنظريات التى طرحتها مدرسة الفكر البشرى القائم على الهوى والمطامع والذات والانحلال قد سقطت تماما ، وأن كثيرا من المسلمات التى عاشت موضع القداسة قرونا عدة قد نكشف أنها باطلة على النحو الذى أعلنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، يجعلونها قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا منها .

ومن هنا فنحن مطالبون بالوقوف فى وجه أعاصير الغزو التغريبي التى ماتزال تقذف أفق فكرنا الإسلامى بالسوم ، فتتصدى لمن يحاول النيل من الإسلام والخط من شأنه ، والذين يجرون وراء التأويلات والفلسفات والمباحكات اللفظية بقصد الخروج من دائرة الفهم الأصيل المستمد من منابع ، الذى لا يقبل أن يكون عامل تبرير للانحرافات الاجتماعية أو قبولها تحت أى اسم من أسماء الرخص

أو الظروف ، ولا بد من التثبيت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة واعتباره المنار والمصدر والمورد لكل منطلقات الفكر والثقافة والأدب وعلوم الاجتماع والنفس والسياسة والأخلاق والتربية ، وقيام المناهج العلمية التي تؤسلم كل القيم وتصرها في بوتقة المنظومة الإسلامية ، إيماناً بأن هذا هو المنطق الوحيد لبناء المجتمع الرباني ، وتعديل التشريعات وبرامج التعليم بما يتفق مع القرآن الكريم ومبادئ الإسلام السمحة ، والاهتمام بالإعلام الإسلامي ودعمه ، والكشف عن حق الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني ، وأن الخطر الصهيوني موجه إلى كل المسلمين دون استثناء وتوعية الجماهير المسلمة بالخطر المحدق بالعالم الإسلامي من التوسع الصهيوني التلمودي ، وعلى ضرورة مواجهة هذا الخطر بالجهاد دفاعاً عن النفس والأرض والعقيدة .

ولنعلم أن جميع الأزمات التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم ، سواء في مجال الاقتصاد والاضطرابات والقروض مصدرها سيطرة الاقتصاد الربوي ، وفي مجال الاجتماع فإن جميع القضايا المطروحة على الساحة اليوم من تعاطي المخدرات وعدم الأمانة في التجارة والرشوة والتغالي في المهور ونقص أماكن الإيواء لطالبي الزواج واغتصاب الفتيات والجشع في الحصول على الأرزاق والإنفاق المسرف الفاسد ، كل هذه وأولئك لا يمكن أن تحل إلا عن طريق تطبيق المنهج الإسلامي الذي يقوم على التوقي من وقوع الجريمة والردع ، فالشريعة الإسلامية تعلم أهلها أن يطهروا موارد مكاسبهم وأن يحسنوا إنفاقهم ، بعيداً عن الإسراف والتزلف الزائد وذلك حين تحميهم من مسارب الخمر والربا والتحلل الاجتماعي والفساد الإباحي .

إننا مطالبون بالصمود أمام قوى الباطل ، جيلاً بعد جيل

وصفا بعد صف وإلا فنحن من الذين تولوا يوم الزحف ، وإن المسلم الذى باع نفسه وماله لله يجب أن يكون قادراً على الصمود ، وعلى تصحيح المجتمع ، بالاشتراك فيه لا بالعزلة عنه ، وبتحرير قيمه ، وبإقامة القدوة القادرة على التغيير ، ونحن نعلم أن القوى التى تحمل لواء الباطل مسلحة وقوية ومعها أدوات الإعلام والنفوذ ولكن الكلمة الربانية الخالصة أقوى من كل مدافع الدنيا جميعا ، وأن الانحياز إلى جانب الله والاعتماد عليه والدفاع عن كلمته يحقق أحد أمرين : الأمر الأول الفوز بمكانة الشهداء ، الثانى انكسار الموجة قليلا حتى تتكشف الغمة ويصدق فى هذا قول الداعية الصادق المؤمن :

« إن أمانة الرسالة تفرض على المسلمين أن يكونوا دوما على استعداد للمعركة فإن عدوهم يفرض عليهم المعركة فرضا فعلى كل منهم أن يعتبر نفسه على ثغرة من ثغور الإسلام فلا تؤثث من قبله ، أما القاعدون من المسلمين الذين يظنون أنهم بأخلاقهم وصلاتهم وصيامهم يؤدون واجبهم تجاه هذه المعركة المصيرية فليعلموا أنه لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه وأنه لن ينتصر آخر هذه الأمة إلا بما انتصر به أولها أى بالإيمان والجهاد والتضحية والثبات » •

« وإن معركتنا مع أهل الباطل ليست معركة قومية أو وطنية أو اشتراكية ، كما تصورها البعض لكى يفقد المسلمون القوة المادية والمعنوية ولكن معركتنا إسلامية مصيرية أن يكون الإسلام أولا يكون » •

« إن الإسلام دين قوة وعزة ويفرض على أهله أن يقيموا مجتمعه فى أرض الله وأن يجاهدوا فى سبيل ذلك » •

احذروا بدائل الإسلام

تجرى المحاولات التغريبية لوضع بدائل الإسلام في منطلق التيار الفكرى المتدفق اليوم تحت اسم الثقافة العربية أو الفكر العربى أو الأدب العربى ، وكلها مسميات تقصد قصداً إلى هجر الانتساب الإسلامى ليكون لها القدرة على الانحراف نحو المفاهيم الغربية ، تهدف هذه البدائل إلى :

أولا : تغيير طوابع الإسلام فى الأدب والثقافة والفكر وتغيير المقاييس •

ثانيا : إضفاء طابع التشاؤم واليأس والكراهية للفكر الإسلامى الأصيل •

ثالثا : خلق روح الانشطارية والاستعلاء بأحد العناصر كالأدب أو الاجتماع أو الاقتصاد منفصلا عن تكامل الإسلام الحقيقى الجامع •

رابعا : فرض النموذج العربى على المجتمعات •

خامسا : محاولة القضاء على روح الثقة والإيمان بالمنهج •

سادسا : إدخال مصطلحات غربية على المفاهيم الإسلامية كبدائل مثل تصوير الشورى الإسلامية بأنها الديمقراطية والعدل الاجتماعى بأنه الاشتراكية •

سابعا : محاولة رد الأقطار العربية الإسلامية إلى ماضيها السابق للإسلام وإعلاء تاريخها الوثنى القديم كالفرعونيه والفينيقية وغيرها •

ثامنا :محاولة فرض أسلوب العيش الغربى على الأمة الإسلامية •

تاسعا : تفريغ المسلمين من الداخل من قيمهم القرآنية وثقافتهم وتراثهم حتى يصبح من السهل عليهم أن يقبلوا أى فكرة وافدة •

عاشرا : إشاعة أسلوب غير إسلامى فى الحوار والجدل والمسلسلات يحجب مفاهيم الإسلام وآدابه وروحه •

وفى هذه المحاولات المطروحة لما يسمونه صياغة مشروع عربى حضارى لمواجهة تحديات العصر تغيب عن الساحة أول قاعدة لأى مشروع وهى الأصالة الإسلامية التى ينسف غيابها أى مشروع ثقافى أو حضارى ، وهم يحاولون الادعاء بأنه لكى يعبر العرب الفجوة من التخلف إلى التقدم يجب عليهم أن يأخذوا بالأنموذج الغربى ويسوقون ذلك مغلفاً بكلمات عربية خداعا وتضليلا • بينما المنهج الحقيقى للخروج من التخلف هو شىء واحد لا سبيل إلى التماس غيره ، هو : تطبيق المنهج الإسلامى على مختلف نواحي الحياة واعتماد التفسير الإسلامى فى فهم الطبيعة والحياة والمجتمع والحضارة وليس هناك سبيل غيره ، بعد أن مررنا بالتجربة الواسعة من خلال الاحتواء الغربى والماركسى جميعا فى عديد من النماذج التى شهدناها العالم الإسلامى وخرج منها خائفا يترقب ، بل إن هذه الدعوة المسمومة التى تدعو إلى إحياء الثقافات القديمة السابقة للإسلام ، والتى انهارت تماما وماتت لغاتها ، هى محاولة مضللة زائفة ، كذلك فإنه ليس من المعقول أن يجرى الحوار بين منهج القرآن ومنهج البشر الزائفة التى أثبتت بعد أكثر من أربعة قرون عجزها عن العطاء فى بيئاتها • وإنما يريد هؤلاء التغريبيون أن يوجدوا لهم منفذاً بعد أن لفظتهم الأمة ، واجتاحتهم الصحو الإسلامية بمفاهيمها الأصيلة والاستجابة الضخمة لها وانصراف الأنصار عنهم وحدوث

هذه الانتصارات الضخمة بدخول عدد من كبار علماء الغرب وأساطير الفكر الغربى فى الإسلام وليعرف هؤلاء أنه لا توجد فى أفق هذا العمل إلا قضية واحدة هى قضية : المسلمون ومنهج الله ، فتخلفهم مرتبط به ، وانتصارهم مرتبط به ، فإذا عادوا إليه عاد إليهم النصر والتمكين فى الأرض ، وما كل هذه المحاولات من دعوة إلى كتابة التاريخ أو تجديد التراث على مفهوم الماركسية (الجدلية التاريخية) أو مفهوم الغرب (الجبرية المنطقية) ما هى إلا محاولات تبديد طاقة هذه الأمة وتحويل وجهتها الجادة نحو الأصالة والمنابع ، إلى التيه الذى لا تعود منه .

إن محاولة جعل محور الفكر والثقافة فى بلادنا هو الأرض محاولة باطلة ، وإعلاء شأن مصر أو سوريا أو العراق أو غيرها لا يحقق إلا الفرقة ، وإقامة أسوار الانفصال ، وإنه لا يجمع هذه الأمة إلا الإسلام وحده ، وما يحاول أمثال (أنور عبد الملك وغيره) تصويره من دور لمصر ، هو من الإسلام وإلى الإسلام ، فإن هذا العطاء الذى يتميز به تاريخ مصر أو الشام أو المغرب أو الاندلس ما هو فى الحقيقة إلا ذلك النور المبين الذى اقتحم العقول والقلوب فأشرق فيها ضياء الإسلام فصنعت تلك الحضارة : حضارة التوحيد التى أزهرت روح الوثنية والتعدد والاستعلاء بالجنس والرهبانية وغيرها ، وفتحت أمام البشرية طريق الإنسانية المتصلة بربها ، المتوهجة لإنشاء مجتمعه والمسلمة وجهها إليه ، ليس هناك شئ فى الجاهلية مقبول فى الإسلام إلا من تراث الحنيفية السمحاء ، تراث دين الله ، وليس شئ فى الإسلام ، سواء فى مصر أو الشام أو العراق أو الهند أو تركيا أو فارس أو أرخبيل الملايو إلا هو عطاء الإسلام الحقيقى الوافر الخالد ، لقد أعطى الإسلام قانوننا لا يتخلف : هو قانون الانبعاث من الداخل فحيثما ظهرت الأزمة وتجهمت الأمور واقتحمت قوى الغزو بلاد المسلمين يندفع الإسلام ليقدم قدراته

القوية على العودة إلى المنابع والتماس طريق الله ، فسرعان ما تنهزم
قوى الباطل ويعود المسلمون إلى امتلاك إراداتهم وبناء مجتمعهم
ونشر كلمة الله في العالمين •

ونحن الآن على مفترق الطرق : إما إلى مزيد من التيه الذي
يخدعنا به التغريبيون ، وإما إلى طريق الله الحق القادر على تحقيق
النصر : طريق القرآن ، حيث يتحقق قانون الانبعاث من الداخل •

نحن أساتذة الغرب ولن نكون تلاميذه

لقد نكتشف الحقائق التي تضع الأمور في نصابها بالنسبة لدورنا التاريخي الذي قمنا به في بناء المنهج العلمي التجريبي والحضاري العالمي ، وقد أدينا دورنا خلال ألف سنة كاملة ، والمستقبل للإسلام ، وسوف نعود كرة أخرى إلى امتلاك إرادتنا والقيام بدورنا العالمي ، ولا بد أن نشق بذلك بالرغم من الغيوم الكثيفة التي تحجب الشمس ، ولا بد أن ندرك سنة الله في الوجود والأمم والحضارات ، وأن نفهم طبيعة العصر وكيفية إحداث التغيير ونبدأ من القاعدة : من بناء الفرد إلى بناء الأسرة وصولاً إلى بناء المجتمع . تربية الأمة أولاً على الإيمان بالله ، وإسلام الوجه له تبارك وتعالى ، ومنه تتطرق إلى مختلف غاياتها وفي مقدمتها التخلص من الازدواجية في الفكر واللغة وتصحيح المفاهيم وكشف أخطاء التغريب والغزو الثقافي وتقويم الانحراف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعادة فريضة الجهاد إلى مكانها الصحيح من الإسلام ، والإيمان بأن الحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن جهاد النفس لم يثبت ، وهو المنطلق الذي تريد أن تتطرق منه القاديانية والبهائية ، ولا بد من صناعة القدوة المؤثرة في مجال الأبوة والأمومة والمعلمين والربط بين المنهج والتطبيق والارتباط بين الفكر النظري والممارسات السلوكية ، والحيلولة دون زرع اليأس في النفس المسلمة المفطورة أساساً على التفاؤل والثقة بالله .

ويجب أن نعلم أن « القرآن الكريم » هو منهجنا الأصيل الذي يقدم الأسس العامة لمنطلقات الحياة والعمل والسعي والعمران ، وهو الذي يقدم الأسس العامة للتقدم على أساس تحرير الإنسان من

الخوف ، وقيام العقل في أحضان الوحي والإخاء الإنساني ، وقيام التقدم روحياً ومادياً ، وقيام الأصالة والتجديد ، وارتباط الثوابت والمتغيرات والعقل والقلب ذلك أن مؤهلات القيادة العالمية تقوم على الاعتراف بالبعد الرباني للمجتمع والحضارة ، والتسليم للسيد الأكبر ، وتوجيه الحضارة والمجتمع الوجهة الربانية القائمة على الإيمان بالله وأخلاقية الحياة .

ولنعلم أن الحضارة منذ خمسمائة عام وهى تجرى فى محيطات المعاداة لقوانين الله تبارك وتعالى : (الإباحية الإسراف — التحلل) ولقد تكشف الحقائق للناس فى الغرب ، وعرفوا فشل الليبرالية والماركسية جميعاً ، وهم الآن يطالبون بمنهج جديد ، ولقد أعطيت التجربة المادية أكبر قدر من الفرصة ، ومن إملاء الله تبارك وتعالى لها ليكتشف الناس زيفها ، ويقف العالم اليوم على أبواب « اليأس » الذى يسلطه الله على الظالمين ، لا مفر ولا مخرج إلا بالتضرع إلى الله والتماس رضاه بتطبيق منهجه (إذا جاءهم بأسنا تضرعوا) فالبشرية الآن تطلب منهجاً جديداً ووجهة جديدة ورباناً جديداً لسفينتها ليتهاج بها إلى شاطئ النجاة .

ولا ريب أن كل الدلائل تشير إلى أن الإسلام قادم لا محالة نظراً لإفلاس وعجز الفلسفات الوضعية ، ابتداءً بالرأسمالية الليبرالية وانتهاءً بالشيوعية المادية ودليل ذلك أن العالم بدأ يحسب ألف حساب للأمة الإسلامية ، وباعتبار أن الإسلام بإمكاناته الروحية والفكرية هو أهم القوى الجوهرية فى العالم .

وبالرغم من علامات التعويم المتعمد فإن الأمة الإسلامية ستعود إلى سابق مجدها ، إذا هى أحسنت التماسها لمنهج الله تبارك وتعالى ، وحطمت القيود التى تكبل خطوها .

إن نقطة الانطلاق هي تصحيح الهوية والعرف والفهم ، وإعادة المسلمين إلى الأصالة والمنابع عن طريق التعليم والتربية والثقافة ، وعلينا أن نتحرر من محاذير العودة إلى إحياء تراث الفرق القدمية تحت ستار دراسة الفكر الإسلامى فإن مصطلحات المعتزلة والأشاعرة وغيرهم قد عفى عليها الزمن ولا يفهمها الجيل المعاصر ، كذلك مصطلحات الفلاسفة والتصوف الفلسفى فكلها لم تعد لها وجود فى مجتمع لم يشهد تلك الخلافات ، ولنذكر أن رجلاً سأل « مالكا » فقال : من أهل السنة يا أبا عبد الله ؟ قال : الذين ليس لهم لقب يعرفون به ، لاجهمى رافضى ولا قدرى •

فالمسلمون الآن يتجهون إلى مفهوم السنة الجامع ، ويتحررون من شبهات المناهج الموافقة التى تريد أن تغرقهم ، ولنا دعوة إلى إصلاح الدنيا وإقامتها على حدود الله ، وليس إلى ترك الدنيا والزهد فيها والانسحاب منها ولا إلى الإسراف فى الاستسلام للمغريات التى تحطم الشخصية الإنسانية ، وليس فى مفهوم الإسلام : (لا خوفاً من نارك ولا رغبة فى جنتك) ولنعلم أن للمصطلحات مفهوماً مختلفاً من الفكر الإسلامى والفكر الغربى : وخاصة مفهوم السلفية والتقدم والعصرية والمعاصرة •

وقد دعا الإسلام إلى تكوين الوجدان الإسلامى الذى يحول دون وقوع الجريمة والتخلق بالأخلاق الإسلامية والتأدب بأدب الإسلام وجعل ذلك فرضاً واجباً وطريقة الإسلام فى مكافحة الجريمة هى منعها قبل أن تقع بمحاصرتها فى زوايا النفس ومجال الضمير ، وقبل أن تصل إلى مجال اختصاص الشريعة (على حد تعبير الدكتور حسان حتحوت) •

وقد أشار « السيد جمال الدين الأفغانى » إلى عبقرية حضارة

الإسلام فقال إنها تتميز عن غيرها من الحضارات بالوسطية التي وازنت بين ما يحسبه الآخرون في الحضارات الأخرى متناقضات لا سبيل إلى تعايشها ، فضلا عن التأليف بينها في منظومة فكرية وحضارية وسلوكية واحدة ، الموازنة بين العقل والنقل ، بين الغيب والشهادة ، بين الحكمة والشرعية ، بين الدين والدنيا ، بين الدنيا والآخرة ، بين الفرد والجماعة ، بين المادية والإيمان ، بين الشك واليقين ، بين السلم والحرب ، بين السيف والقلم .

وهناك حقيقة لا سبيل إلى إنكارها وهي أن الإسلام جاوز مرحلة التبعية ودخل الرشد الفكري ، وأن التحديث المادي والتقني ممكن للعالم الإسلامي دون أن يفنى المسلمون في الحضارة المادية أو الفلسفات الإباحية وأن الإسلام اليوم يقتحم كل قارات العالم اقتحاما سلميا ، وأن الغرب نفسه أصبح يعتقد أنه لا طريق للبشرية إلا طريق الإسلام .

ولقد جعل الله تبارك وتعالى المسلمين أمة وسطى ، وأعطاهم ثروات وذخائر ضخمة ، ودعاها إلى المقاومة والمواجهة والمرابطة في الثغور لإعداد القوة لإرهاب أعداء الله وحماية دينها وثروتها وأن تبقى دائما على تعبئة حتى لا يفاجئها عدوها بالإغارة عليها ، وأن تتحرر من احتلال أرض الإسراء .

والعالم الإسلامي مؤهل اليوم لأن يصبح قوة عالمية فعالة قادرة على أن تتحكم في التوازن الدولي ، وأن ما يردده البعض في الغرب من أن العالم الإسلامي لم يبرز كقوة سياسية إلا بسبب البترول هو تصور غير حقيقي .

إن علينا مهمة تحصين المسلمين ضد التيارات الهدامة ، وكشف أساليب الملحددين والتغريبيين والكشف عن زيف الفتات الضالة وفضح

مخططاتها وأفكارها ومؤامراتها ضد المسلمين ، ولنعلم أن أخطر ما نواجه هو أن نعيش بعواطفنا وبعقول غيرنا ، فنحن نمارس حياتنا كما يريد أعداء الإسلام ، ولا بد من العودة إلى المنابع بأسلمة التعليم ، وترشيد أدوات التسلية والترفيه ، وإحياء روح • الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطبيق الشريعة وبناء المجتمع الرباني ونقطة البدء هي الإيمان بالله ، واعتماد القرآن منهجا ، والولاء لزعامة الرسول — ﷺ — وتقدير الثوابت والمتغيرات والتحرك داخل دائرة ما أحل الله تبارك وتعالى ، والإيمان بوحدة البشرية ، ووحدة الدين ، وشراء الله وبيع النفس •

مؤامرة الصمت

إلى أى مدى كان أثر الإسلام عميقا فى الفكر الأوروبى المسيحى منذ مطالع النهضة ؟

إن هذا السؤال قد أجابت عليه فى العقود الماضية من القرن التاسع عشر الميلادى وهذا القرن إجابات مختلفة ، ولكنها فى مجموعها لا تستطيع أن تعطى الحقيقة التى كانت تتخفى وراء كلمات عابرة ، دون أن تكشف تماما عن الواقع الصحيح . والذى كان بارزا وواضحا - إلى حد ما - هو أن جماعة الصليبيين الذين جاءوا مع الحملات الصليبية ، وعادوا إلى أوربا بعد هزيمة الحملات ، قد حملوا معهم حقيقة مزعجة للكنيسة وأهل الغرب ، وهى عدالة « صلاح الدين » والمسلمين وتفوقهم العلمى .

وقد حاربت الكنيسة هذه المحاولة حربا شديدة ، وقد تبدى لها أن تتحول من حرب السيف مع المسلمين إلى حرب الكلمة على النحو الذى دعا إليه « لويس » التاسع ، والذى بدأت بعده مباشرة ترجمة القرآن والبحث عن النقاط التى يمكن عن طريقها إثارة الشكوك حول : الإسلام والقرآن .

غير أنه بقيت هناك قضية أخرى هى قضية محاكم التفتيش والحرب التى شنتها أوربا على العلوم ، وما حدث « لجاليلو » وغيره بقيت هذه القضية فى نظر الباحثين منفصلة شيئا ما حتى تبدت اليوم مجموعة من الحقائق تجعلنا نسلك هذا التطور أيضا فى نفس الخط السابق ، وأن نعلن بغير تحفظ أن حرب محاكم التفتيش كانت موجهة أساسا إلى العلم الإسلامى الذى أخذت به أوربا وخاصة ما يتعلق بالمنهج العلمى التجريبي ، والذى كان سببا للانفصال الشديد بين

العلم والكنيسة (لا بين العلم والدين والذي أفضى إلى العلمانية على النحو الذي عرفته أوربا ، وخصومة العلم الشديدة للاهوت المسيحى جملة ، والخروج من ذلك كله إلى الفلسفة المادية الخالصة التى أنكرت الدين •

وقد تبين — وهذا الرأى غريب فى ظاهره ، ولكن عند تبين الدلائل يتأكد — أن محاكم التفتيش قد قامت فعلا لقتل العلماء الذين تعلموا فى مدارس المسلمين ، فقد ظهرت طائفة الرهبان الذين عرفوا خطر الإسلام على دينهم وعلى المجتمع الأوروبى وبدأوا المقاومة بإثارة الشكوك ومن هنا نجد أن القضية واحدة ، وأن أحد شقيهاهم الصليبيون الذين عادوا إلى أوربا يلهجون بسماحة الإسلام ، والشق الآخر هو العلوم الإسلامية التى فتحت أمام علماء أوربا حقائق جديدة مخالفة لما جاء فى الكتاب المقدس وأهمها (دوران الأرض) وهو ما يتعارض تماما مع ما جاء فى مفاهيم الكنيسة عن (مركزية الأرض ومركزية الشمس) حيث نبئت نظريات «بطليموس» إلى جملة آراء لم يسمح الآباء المسيحيون بمناقشتها أو التشكيك فى صحتها ، وقد كانت نظرة رجال الدين إلى أجرام السماء مختلفة ، ولكن العلم أبطلها جميعا فقد قيل « إنها كائنات حية ، ، وقيل إنها موطن الملائكة ، وقالوا إن السماء قبة صلبة تحيط بالأرض وأن الاجسام السماوية مصابيح معلقة فى السماء » •

ولقد انتصر الطريق الذى استعصم بالإسلام فى مجالات عدة :

أولا : فى التحول من الرهبانية إلى النزعة العلمية الخالصة وسقوط النظريات اليونانية القديمة القائمة على التأمل •

ثانيا : فى إلغاء الصور والأيقونات وغيرها الموجوده فى الكنائس •

ثالثا : في العمل على تفسير الكتاب المقدس بدون التقيد بما فرضته الكنيسة من صكوك الغفران أو غيرها من الدعوات .

ولكن هذا الطريق الإسلامي إلى العلم ، الذي اعتمد المنهج التجريبي الإسلامي الذي غير وجه الحياة في الغرب تغيرا شديدا وأدخله مرحلة جديدة مختلفة عبر مرحلتين : الوثنية اليونانية الرومانية ، ومرحلة التفسير المسيحي القائم على الصلب والتبليث والخطيئة ، هذا الاتجاه لم يسلم لا رسم الإسلام ، ولكن سيطرت عليه القوى التي جاءت من بعد والتي أطلق عليها اسم (القنوير اليهودي) والتي أخرجته من الفلسفة المدرسية المسيحية التي كانت تعتمد على المثالية إلى الفلسفة المادية ، والانحراف نحو مذاهب اللذات والإباحة والتهيهوات التي فرضتها نظريات (ماركسي) و (فرويد) و (دوركايم) (المدرسة الاجتماعية الفرنسية) .

وبذلك خرج الغرب عن منطق الإسلام في العلم تجت تأثيرات شديدة عنصرية مستعلية بأن الغرب هو صانع الحضارة ، وأنه العنصر الأبيض الذي لا يهزم ، والذي تتكرر تماما لدور الإسلام وتجاهله ، ووقف أمامه موقف (مؤامرة الصمت) حيث نشأت فكرة العداء الخطير ، وبرزت دعوى أن الإسلام سيطر على مساحات شاسعة كانت تحت حكم الغرب والرومان ، وأن الغرب لا بد أن يثار لذلك وأن يستعيد هذه الأرض ، وهي الصيحة التي بدأت بها حملة الاستعمار الغربي والتي بدأت منها معارك الحروب الصليبية التي ظلت تترحف في القتال على العالم الإسلامي مدى قرنين من الزمان لا تتوقف ، حتى هزمت تماما ودمرت قوتها . ومن هذا المنطلق بدأت معركة الاستعمار الحديث ثم الغزوة الصهيونية وهي جميعها تحمل الأحقاد الشديدة إزاء الإسلام من ناجيتين : من ناجية زحفه السلمي الواسع الذي تدهش له الكنيسة ، والذي أصبح يكسب

(م ٥ - المعاصرة في إطار الأصالة)

الآن أقطابا من الفكر الغربى ، ومن ناحية هدفها إدامة السيطرة على مقدرات البلاد الإسلامية الزاخرة ، وذلك عن احتواء هذه الأمة فكريا وثقافيا وعقائديا حتى يمكن صهر هذه الأمة فى بوتقة الحضارة الغربية العالمية أو الأممية ، ويقوم على ذلك اليوم ثلاث قوى : هى الصهيونية والغرب والشيوعية ، وكل منها لها أهدافها من وراء استشرائها الذى يبيث السموم من خلال المناهج التعليمية والثقافية ، وعن طريق وسائل التسلية والإعلام ، وعن طريق الصحافة والمسرح •

وقد تنبه المسلمون لهذه المؤامرة الخطيرة : مؤامرة الحصار والاحتواء ، وتأخير الأمة الإسلامية عن امتلاك إرادتها والقيام بدورها الحقيقى فى تقديم الإسلام إلى البشرية ، وإنقاذ العالم من أزمة الحضارة التى هى أزمة الإنسان الممزق نفسيا والمغرب والمدمر تحضنه القذائف النووية التى يمكن أن تدمره فى أى لحظة •

ولما كانت حركة المقاومة لحملة الاحتواء العالمية التى تحاصر العالم الإسلامى اليوم لابد أن تبدأ من الداخل ، فإنها لابد أن تبدأ بالعودة إلى المنابع والتماس الأصول وإقامة منهج الله ، بالتربية الإسلامية الحققة ، وتكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة وهذا هو المنطلق الحقيقى للصحة الإسلامية التى تجرى مؤامرات كثيرة لإجهاضها أو الحيلولة بينها دون الوصول إلى غايتها الحقيقية •

ونحن نرى اليوم مؤشرات كثيرة تدل على أن الصحة ماضية فى طريق الأصول فى مقدمتها أسلمة المناهج ، وظهور العلوم الإسلامية فى الاجتماع والاقتصاد والأخلاق والنفس ، وظهور مدرسة الأدب الإسلامى ولا بد من المقاومة المستمرة ، والمواجهة المستمرة لهذه المطروحات المسمومة التى تلقى يوميا فى أفق فكرنا الإسلامى لتزييف وجهته أو إفساد غايته •

لن تعود تجربة القومية

الرد على محمد حسنين هيكل

إن الفكرة القومية التي يدافع عنها العلمانيون تهدف الى التمويه على الخط الإسلامى الواضح الآن . لقد عجزت الفكرة القومية وفى يدها السلطان الحاكم سنوات طويلة عن أن تحقق شئيا ، فكيف تستطيع الآن وهى منبوذة ، مرذولة فاشلة ؟ إنها لن تقوم لها قائمة إن الذين يتحدثون باسمها هم الذين يصرون على موقف عرفوا به وعرف بهم ، فهم لا يستطيعون أن يتراجعوا عنه ، وإذا تراجعوا عنه فإلى أين وقد عاشوا حياتهم كلها دعاة له حين كان مرتبطا بالدكتاتورية والاستبداد والتصفيات الجسدية ؟

إن الرابطة العربية لن تكون علمانية ، كما كانوا يدعون أو يرسمون لها ، لقد حطمت هذه القيود ورأت أن طريقها يبدأ من القوة الإسلامية الجامعة ولا ينفصل عنها ، إنها لن تستطيع أن تحقق وجودها منعزلة عن الوجود الإسلامى الواسع ، ولا عن المفهوم الإسلامى الأصيل . إن هناك من يريد أن يبقى هذا الصوت الفكود يتردد ليموه على الوثبة الصحيحة ، ولذلك فهو يغذون مفهوم الأمة العربية المنفصلة عن الأمة الإسلامية بمفاهيم الإسلام لا بمفاهيم العلمانية ، ولا فى ظل الدعاوى التي تستمد رموزها : من شعارات الثورة الفرنسية .

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن الخطر الدينى وهم يعنون الصحة الإسلامية يريدون أن تظل أكاذيبهم وتفسيراتهم الخادعة — التي صدرها لهم « ساطع الحوى » و « مشيل عفلق » ممثلة ، وقد علموا

أن كل باطل لا بد أن ينكشف ، وأن كل ضلال لابد أن يزهدق ، إنهم يتحدثون عن الصحوّة الإسلاميّة وكأنّها خطر شديد يرد الأمة إلى الرجعية ، ولم يعلموا أن أضاليلهم في الحديث عن القومية حولت الناس عن طريقهم الحق ، وخذعتهم بمفهوم وافد مضلل ، ورأوا أن الخطر في أن تعود الأمة إلى الأصالة وأن تسقط مفهوم القومية الوافد المضلل وأن تعود إلى مفهوم العلاقة الحقيقية بين العروبة والإسلام ، باعتبار العروبة نتاج الإسلام ، وعطاءه فما كان للعرب وجود قبل الإسلام ، ثم إنه الإسلام الذي أدخلهم إلى المجال العالمي وفتح لهم الآفاق .

إن هذا الدين الذي يتحدثون عنه ويفرقون من التجاء الناس إليه اليوم ، ليس هو إلا الإسلام الجامع بين الدين ومنهج الحياة ، وبين العقيدة ونظام المجتمع ، وليعلم إخواننا هؤلاء أن هذه المفاهيم التي بدأت في الإرساليات التبشيرية لتصنع مفهوما وافداً للقومية يسقطون به الخلافة ، ويعتمدون به إسرائيل وينشئون صراعا بين الطورانية والعروبة للقضاء على الوحدة الإسلامية الجامعة ، هذا المفهوم الوافد الذي يتحدثون عنه ، وهذه الكراهية المقيته منهج للإمبراطورية العثمانية ، كل ذلك قد كشفت الوقائع الصحيحة وجه الحق فيه ، وزالت الغشاوة التي وضعت على العيون سنوات . . . نعم إن العروبة الآن تدخل في بحر الإسلام الواسع ، وليس بحر الدين بمفهوم الغرب لأن قضية فلسطين هي قضية الإسلام والمسلمين ، وليست قضية العرب ، والعجيب أن هؤلاء يقبلون بمفهوم : إسرائيل دين وقومية ، ولا يقبلون بمفهوم : الإسلام جنسية للمسلمين جميعا ، لقد حاصر التغريب مفهوم الإسلام الصحيح فحجبه عن طريق دعاة القومية بينما أتيح لهم أن يعبروا عن أنفسهم بحرية ، إنهم يدعوننا إلى الفصل بين الدين والدولة بينما هم يرون أنهما بمثابة شيء واحد .

ألا فليوقن .. هؤلاء أن التجربة قد فشلت ، وأنها لن تعود ،
الآن الزمن لا يرجع القهقري ، وأنه لابد من أسلوب جديد لمفهوم
جديد حتى يمكن الخروج من الحلقات المغلقة جميعا ، وأن مفهوم
الإسلام اليوم هو القادر على هذا العطاء .

إن كان هناك جيل كامل يبحث عن الدواء في الدين ، على حشد
تعبير « محمد حنين هيكل » — الذي هو الإسلام — فإن ذلك إنما
جاء نتيجة الفشل واليأس الذي صدم النفوس خلال ثلاثين عاما من
مفاهيم وافدة مضللة تحاول أن تحجب الطريق الصحيح ، وتدفع
بالإمامة الإسلامية كلها إلى التيه .. لقد جاءت قوميتهم بالهزيمة
والثكبة والنكسة ، وقدمت للعرب والمسلمين الخدعة على أنها
النصيحة ، ولما كان الرائد لا يكذب أهله ، وقد كذبوا على أهلهم ،
فإنهم قد فقدوا ثقة الناس فيهم لكذبهم وخداعهم وتضليلهم مهما
أفسحت لهم الصحف أعمدة ، أو أقيمت لهم مؤتمرات ، أو ارتفعت
لهم صيحات من أسماء لمعت في ظلام الماضي وحان لها أن تتطفئ .

إن الهوية التي عرفها العرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية
كانت هوية مدخولة لأنها فرغت من ترابط الإسلام بالعروبة وقد قدمت
لهم عن طريق مفهوم الغرب بعلمانية ومادية وتجربته المختلفة تماما ،
فليس هناك وجه شبه بين علاقة الكنيسة الكاثوليكية والغرب ، وبين
الإسلام والعروبة إنها هوية باطلة لأنها فقدت أهم مقوماتها وهو
الإسلام منهجا ، والأخوة الإسلامية طريقا يربط بين العرب والأمة
الإسلامية من ترك وفرنس وهنود .

إن الثقافة المشتركة الحقيقية ليست هي الثقافة العربية ولكنها
القرآنية والسنة والفقه ، وهي الثقافة الإسلامية الجامعة التي تربط
ألف مليون مسلم برباط لا إله إلا الله ، ووحدة الفكر والعقيدة
والإيمان .

لقد مرت تجربة القومية العربية بمرحلة المد ، ومرحلة الهبوط ،
في خلال ظروف حاول التغريب خلالها فرضها على العرب والمسلمين ،
وسوف لا تعود هذه التجربة مرة أخرى ، ولن تكون لها أية قائمة
جديدة مهما حاول ادعاء ذلك « محمد حسنين هيكل » وغيره .
إن النظرة إلى الأعماق تؤكد أن العرب والمسلمين يبحثون
الآن عن المنابع والجذور ، إن العرب اليوم يتحركون في إطار الأمة
الإسلامية ويعتبرون وحدتهم مرحلة على هذا الطريق ، ويعرفون
أن الطريق إلى ذلك أمران لا ثالث لهما : الجهاد لاسترداد الأرض
المقدسة ، وإقامة المجتمع الإسلامي بتطبيق الشريعة الإسلامية .

وعلى الأقل فقد تكشف اليوم للناس حقيقة دعوة القومية
العربية المضللة وما كانت تضم من أحقاد للإسلام ومحاولة لهدمه .

المواجهة مع الغرب لن تتوقف

لا سبيل إلى دراسة تاريخ الإسلام أو تاريخ العرب أو الواقع الإسلامي العربى فى أى حلقة من حلقاته و صورة من صورته ممزقا مفرقا ، فإن هذه المحاولة — فضلا عن أنها من أعمال التغريب والغزو الثقافى — فإنها تحول دون الوصول إلى الحقيقة ، ذلك لأن الحقيقة لا يمكن أن تعرض إلا كاملة ، وإن المواجهة بين أى جزء من عالم الإسلام وبين خصومه هى مواجهة مع عالم الإسلام كله ، وإنما تجزئة المعارك والمواقف تحول دون إثارة الأجزاء الأخرى ، بينما تكون النتائج بعيدة الأثر فى كل الأجزاء والأبعاد، لقد علمنا الاستعمار أن ننظر نظرة جزئية وإقليمية ، وأن تشغلنا القضايا الداخلية والخاصة وذلك حتى تنقطع الصلة بين الجزء والكل ، بينما نجد أن الاستعمار والتغريب إنما يخططان من خلال خارطة واسعة يوجه فيها الضربات إلى نقطة فى أقصى المشرق ثم إلى نقطة فى أقصى الجنوب ثم إلى نقطة فى أقصى الغرب ، مباعدآ بين ضرباته حتى لا يلتفت أحد إلى الأطراف طرفا بعد طرف ، ولذلك فإن علينا أن ندرس (كل عناصر الفكر الإسلامى) من خلال نظرة كلية عامة :

أولا : لأن النظرة الجزئية من شأنها أن تحول دون الوصول إلى الغاية المرجاه ، وهى فى نفس الوقت تحقق الهدف الذى رسمه النفوذ الأجنبى والتغريب ، ومن خلال إحدى كبرى تحديات العصر (فلسطين) فإنه لا يمكن دراستها منفصلة عن أبعاد أخرى متعددة ، وهى أبعاد تاريخية وجغرافية ، وتذهب إلى تاريخ أوروبا وتاريخ اليهود وتاريخ الدولة العثمانية ، وتصل إلى الحروب الصليبية وحروب نابليون والثورة الفرنسية ، وأبعاد فكرية وثقافية وعقائدية تصل إلى « إبراهيم » أبو الأنبياء وإلى بابل وإلى مكة وإلى مصر ... الخ .

هذا بالنسبة لقضية واحدة هي قضية فلسطين فما بالك بعشرات القضايا التي يفجرها الصراع وتفجرها المواجهة بين عالم الإسلام والغرب ، منذ بدأت أولى علاقات اللقاء ، ومنذ جاء الإسلام إلى اليوم ، وهي مواجهة لم تتوقف ولم تهدأ منذ أحس الغرب بظهور الإسلام ، وأخذ منذ ذلك اليوم يحاول قمعه داخل الجزيرة العربية ، ويحول بينه وبين الانطلاق لتبليغ رسالة الحق ، ولتحرير البشرية من عبودية الإنسان ومن الوثنية والجور ، منذ ذلك اليوم وإلى عصور قادمة ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها فإن هذه المواجهة لن تتوقف ولن تنتهى ، وسيظل المسلمون — أصحاب هذه المنطقة الخطيرة من العالم ، وذلك الموقف الدقيق الحاسم — في موقف المراقبة الدائمة والمواجهة القائمة التي لا تنتهى (ذلك لأنهم في رباط إلى يوم القيامة) وكل سياسة ترسم على غير هذا الفهم فإنها سوف تجد من نصيبها الفشل والانهيـار ، وكل نظرة توجه إلى قضية من قضايا التحديات المثارة الآن في عالم الإسلام مع الغرب لابد أن تدرس في إطار هذه النظرة الكاملة التي تجمع كل الأطراف وتستقطب كل الأبعاد .

ولعل أقوى ما يؤكد هذا الفهم : هو الوجهة الواضحة لكل القوى الطامعة ، والمغامرة ، سواء أكانت الاستعمار أم الصهيونية أم الماركسية أم الإلحاد أم الوثنية ، فإنها جميعها — على اختلاف مشاربها ومطامعها — تتجمع حول هدف واحد هو الإدالة من (عالم الإسلام) بالإدالة من (الإسلام) نفسه ، ذلك « الخطر » الذى لم تتوقف في الحشد له والتخطيط لمواجهة وتنفـيـذ المؤامرات لضربه ، ومع ذلك فإنه مازال قائماً كالطود ومازال يكسب كل يوم أرضاً جديدة ، ومازال يستبدل أجنحة الضعف بأجنحة القوة ، فكلها تهدم له ركن ، تجدد ركن ، وكذلك كان شأنه إبان تاريخه كله ، يواجه الأزمات والأحداث ثم يخرج منها مصهوراً لامعاً كالذهب ،

مجددا نفسه بالاستعداد من منابعه ، مندفعاً إلى آفاق جديدة
لنستضيء به .

ومن هنا فإن علينا اليوم حين نواجه واقعنا أن نبدأ من الخطوة
الأولى ، عندما تجمعت القوى لتحول بين الإسلام وبين الخروج من
الجزيرة العربية وتآمرت قوى الروم مع كل خصوم الإسلام للقضاء
على هذه القوة الجديدة ، إزاء هذا تجمع الغرب في محاولات متعددة
من خلال الدولة البنظية التي لم تلبث أن واجهت هزيمة ساحقة في
معركة (ملاذكرد) التي كانت إعلاناً ومقدمة للحروب الصليبية التي
استمرت في الشرق قرنين من الزمان وانتهت با لهزيمة الساحقة ،
بالرغم من امتلاكها أجزاء هامة من الساحل الشامى ، وسيطرتها على
بيت المقدس فترة من الزمان ، وبالرغم من تأمرها بالاتفاق مع قوات
النتار لضرب الإسلام بعد حصاره وتطويقه .

ثم جاءت الجولة الإسلامية التركية التي حققت السيطرة على
القسطنطينية والتي زحفت إلى قلب أوربا فسيطرت على البلقان
ووصلت إلى أسوار فينا ، وأقامت هناك ثلاثة قرون أو تزيد ، في
هذا الوقت كانت حركة الإدالة من الوجود الإسلامى فى الأندلس
تصل إلى غايتها ، وتدفع هذه القوى الأسبانية والبرتغالية فى حركة
التفاف حول عالم الإسلام لمحاصرته وتطويقه ، كمقدمة للاستعمار
الغربى الذى سيطر على مقدرات المسلمين منذ القرن الثامن عشر
(أندونيسيا والفيليبين والهند) ، ثم السيطرة على العالم العربى
خلال القرن التاسع عشر حتى تم له ذلك فى نهاية الحرب العالمية
الأولى حيث سقطت الدولة العثمانية وتمزقت البلاد العربية بين
الاستعمارين : الفرنسى والإنجليزى وأسلمت فلسطين لقمة سائغة
للصهيونية العالمية .

ومنذ ذلك اليوم والمسلمون يعيشون معركة المواجهة الخطيرة

التي تتشكل وتتحول بين استعمار واحتلال ، إلى سيطرة اقتصادية
وغزو ثقافي ، إلى صراع بين فرنسا وإنجلترا ثم إلى صراع بين
الغرب والشيوعية ، ثم صراع بين قوى الاستعمار والصهيونية
والماركسية ، سياسيا وفكريا واجتماعيا •

ولكن القوة المؤمنة استطاعت أن تقتحم كل مؤامرات القضاء
عليها ، وتدافعت لتعلن كلمة الله إلى العالمين في مواجهة امبراطورية
الغرب كما فعلت من قبل في مواجهة امبراطوريتي الفرسى والروم •

أخطر مؤامرة تعرض لها الإسلام في العصر الحديث

تمزيق الوحدة الإسلامية الجامعة

إن أخطر الآثار التي ترتبت على مخططات الاستشراق طريقا إلى التغريب هي تمزيق وحدة الأمة الإسلامية إلى إقليمية وقوميات، وغرس إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي ، فقد كان العمل الأول والأكبر الذي قامت به هذه القوى هو وضع مخططات ترمى إلى احتواء العالم الإسلامي كله والسيطرة عليه ، ومن ذلك دعوتهم إلى القومية وإلى الاشتراكية وإلى تشويه الوحدة الإسلامية الجامعة والتآمر على دولة الخلافة الإسلامية لتمزيق تلك الجبهة الموحدة وفرض نفوذهم الإقليمي على كل منطقة ومحاولة إقامة وجود وتاريخ وكيان خاص لكل منطقة مسمد من تاريخ ما قبل الإسلام ، وبذلك أحيوا دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان ، والآشورية والبابلية في العراق ، والبربرية في المغرب ، والزنجية في إفريقيا ، بهدف تقطيع أواصل العالم الإسلامي . وقد أكد أكثر من مستشرق بأن التركيز على القوميات هو من أكبر أهداف عملهم ، ومن ذلك اليوم تحدثت الدراسات عن الأدب المصري ، والسوري والعراقي ، والحضارة العربية والحضارة الإسلامية والحضارة المصرية وعن الثقافة المصرية والثقافة السودانية ، وهكذا جرت المحاولة بفضل الأدب والثقافة والفكر — في هذا العصر الحديث — عن منطلق الفكر الإسلامي في تاريخه وقيمه ، وفصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي بينما هو (وحدة) من وحداته لا تنفك عنه ، وهذه مؤامرة خطيرة يجب الوقوف في وجهها .

وجاءت القضايا السياسية لتدرس في كل قطر على حدة ،

وتتكون لها وجهة نظر مختلفة ، وتمزقت جبهة الأمة الإسلامية في إقليمية وقوميات كان من شأنها سقوط الوحدة الإسلامية الجامعة إلى حين ، وتثبيت الدعوات المرتبطة بالعرق والدم والعنصرية ، وظهرت الدراسات تتحدث عن النحو العربى والبلاغة العربية في كل قطر على حدة ، بينما هي مما لا يمكن فصله أو تجزئته ، وتتافس المسلمون الشخصية الواحدة فقال عنها هؤلاء : إنه تونسى وقال الآخرون بل جزائرى ، وقال آخرون إنه ولد في جنوب ليبيا (وكذلك قطر على حدة ، بينما هي مما لا يمكن فصله أو تجزئته ، وتتافس فارسى ، ونسوا حقيقة أساسية هي أن العقل الإسلامى وحده هو الذى كون هذه الشخصيات ، وكون آثارها ، وأن اللغة العربية والقرآن والسنة هي مصادر هذه الأعمال حيث لم يكن يعرف المسلمون في عصورهم المزهرة مثل هذا الخلاف بين العربى والفارسى والتركى وهو مما رماهم به عدوهم ، بل كان المسلمون وحدة واحدة لا يملكون جواز سفر إلا من لا إله إلا الله ، وقد يقال « ابن خطوطة » أربعين قطرادون أن يوقفه أحد منذ خرج من الأندلس حتى يبلغ جاوة .

تلك هي مؤامرة الاستشراق الكبرى التى هدمت وحدة المسلمين وفتحت الطريق أمام غزو قومية أخرى خارجية على وجودهم ، ومزقت العالم الإسلامى كله إلى قوميات وأسقطت الخلافة الإسلامية ومكنت للإقليمية التى ما تزال تصر على انفصالها ، وكانت الأطروحة الكبرى هي الماركسية من أخطر ما حال دون وحدة المسلمين وأسلمهم إلى ولايات مختلفة بين القوى الغربية والشرقية .

هذه هي العبرة

إن المقارنة بين اليقظة الإسلامية ونهضة اليابان هي قياس مع الفارق البعيد والعميق ، وعندما يقال إن النسيج الاجتماعي الياباني استجاب للمتغيرات دون أن يفقد تماسكه لا يكون هذا القول ممثلاً للواقع ، فإن أهم شيء هو :

هل واجهت اليابان تلك الحرب الفكرية الواسعة الضخمة التي قام بها الغرب إزاء المسلمين والعرب لانتقاص ذاتيتهم وتدمير وجودهم والتشكيك في نظامهم الإسلامي وهدم قيمهم وتعويق نهضتهم بشتى السبل ، وبث المذاهب والأيدولوجيات الهدامة بينهم لحرمانهم من تحقيق امتلاك الإدارة الحقيقية ؟

إن اليابان لم تواجه من ذلك شيئاً ، وما واجهت الغزوة التغريبية أمة ما على وجه الأرض بمثل الشراسة والعنف التي ووجهت به الأمة الإسلامية ، ذلك لأن الغرب لا يخاف اليابان ولا يخاف أى أمة من أى دين آخر ، وإنما يخاف الإسلام وأمته ، ويتوقع أن تكون نهضته وصوته عاملاً من عوامل تقلص نفوذ الغرب •

إن التغريب يهدف أن تزول ذاتية الأمة الإسلامية وهي في طريقها إلى التحديث ، ولكن الأمة الإسلامية ستقاوم في سبيل حماية ذاتيتها ولن تقبل من الغرب سوى العلوم التجريبية ولن تقبل التبعية والانصهار في بوتقة الحضارة الغربية التي تتجه إلى الانهيار • إن امتلاك الإدارة الذاتية لا تحول دون تحقيق العصرية والتقدم ، وكذلك فعلت اليابان ، وهذه هي العبرة التي تأخذها من الأحداث ، فقد حافظت على تراثها الوثني وقبّلت من الحضارة ما دفعها إلى

الأمم دون أن تفقد ذاتيتها فهل يمكن لمن يملك أعظم المناهج وأكرم القيم أن يتنازل عنها في سبيل قبول عرض من الدنيا !!؟

ومعنى هذا أن المسلمين قادرون على أن يقيموا نهضة عصرية كبرى من خلال منهجهم الإسلامى ، وأن المنهج الدينى لا يعوق النهضة • وإذا كانت اليابان وهى تملك من هجاء وثنى قد استطاعت مع المحافظة عليه أن تقيم هذه النهضة فكيف بمن يملك من هجاء ربانى أصيلا ، قام على حماية العلم والتقدم وحقق تجريبية ألف عام كاملة فملا الدنيا بنوره وأضوائه !!؟

هذه هى العبرة •

عودة إلى طريق القرآن

هناك محاولة جديدة لتزييف تاريخ اليقظة الإسلامية ، يحمل لواءها عدد من الكارهين للصحة الإسلامية العاملين على تزييفها ، تلك هي الدعوى التي تقول : إن جيل الرواد (« لطفى السيد » و « ظه حسين » و « ومحمود عزمى » و (على عبد الرازق) و (حسين فوزى) و (زكى نجيب محمود) و (لويس عوض) كانوا على الطريق الذى رسم « جمال الدين » و « محمد عبده » ، وأن اليقظة الإسلامية هي التي انحرفت عن هذا الطريق وأن هؤلاء الرواد هم دعاة التتوير الإسلامى ، فى هذه اليقظة وتلك دعوى باطلة لا يقبلها عقل .

فإن كلمة التتوير نفسها كلمة يهودية ، فالتتوير فى الغرب هو عصر الإلحاد والإعداد لحصار المجتمع المسيحى وتغليب نفوذ اليهود عليه وصراع القوميات مع الكنيسة ، فإذا كانوا هم دعاة التتوير بهذا المعنى فى الفكر الإسلامى فذلك رأيهم فيهم ، أما نحن فلا نؤمن بكلمة التتوير ، ولا يعتبر جيل الرواد هذا هو الحلقة الثانية لليقظة الإسلامية التي بدأها أساسا «محمد بن عبد الوهاب» و «والسنوسى» (والمهدى) (وجمال الدين) (ومحمد عبده) ، وهذه اليقظة امتدت فى الدعاة السلفيين الذين انتشروا فى الهند (أحمد بن نعمان) وفى العراق (رشيد رضا) ثم حركة الدعوة الإسلامية التي قادها حسن البنا (أما أولئك العلمانيون فقد خلطوا الأوراق وجاوزوا طريق (جمال الدين) و (محمد عبده) ، وهل يعقل أن يكون (لطفى السيد) بدعوته إلى محاربة اللغة العربية والجامعة الإسلامية وتعليم العامة تابعا (لجمال الدين) ؟ وهل يمكن أن يتصور أن الدعاة إلى التشكيك

فى أن الشعر الجاهلى هو مصدر من مصادر التفسير القرآنى — كما فعل طه حسين — أو أن الإسلام شريعة ودولة — كما حاول على عبد الرازق — هل يمكن أن يكون هناك أى صلة بين هؤلاء وبين الطريق الذى رسم (محمد بن عبد الوهاب) وسار فيه (جمال الدين) (ومحمد عبده) ؟

لا ريب أن الخط الذى كانت تسير فيه النهضة التى بدأها الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) (بدعوة التوحيد) ووسع نطاقها (جمال الدين ومحمد عبده والألوسى والجزائرى) والتى امتدت إلى المغرب حين أنشأت الحركة السلفية المغربية ، هذه النهضة جاء (طه حسين) وجماعة التبغريب القادمين من المجاهد الأجنبية للادعاء بأنهم أتباعها ليجولوا تيارها نحو العثمانية ، على النحو الذى قام به الذين أنكروا المعجزات وحاولوا قبول القوانين الغربية بدعوى أنها لا تختلف — كثيرا — عن الفقه الإسلامى • هذا التحول الخطير الذى قام به « سعد زغلول » فى تقريغ الحركة الوطنية من انتسابها الإسلامى « ولطفى السيد » بقبول الليبرالية بديلا للمنهج الإسلامى وما نتج عن حجب الشريعة وقبول منهج الغرب فى التعليم والتربية والسياسة والاقتصاد •

كل ذلك كان انجرافاً بحركة الإصلاح عن طريقها الحقيقى حتى جاء دعاة اليقظة الإسلامية فأعادوها إلى مفهوم القرآن الأصيل •

تميز الإسلام عن المذاهب والعقائد

إن الإسلام جاء حدا فاصلا بين عصره وما قبله من عصور ، لقد عرف هذا الحد الفاصل باسم (الانقطاع الحضارى) لقد كانت الأديان كلها قبل الإسلام تمهيدا للإسلام الذى يمثل (عصر رشد الإنسانية) إن من ينظر فى دقة وعمق إلى هذه المفاصلة التى يقيمها الإسلام فى تعاليمه ، وبالنسبة لأهله وبين التقاليد والقيم والعادات التى كان يعيشها الناس من قبله تكشف له فى وضوح أن عصرأ جديدا قد بدأ بظهور الإسلام وأنه تغلغل إلى أبعد مدى فى كل دقائق أمور الحياة والأخلاق والمعاملات .

ولكن قوى التغريب تحاول أن تصور الإسلام على أنه دين من الأديان ، دون أن تكشف عن مجموعة الحقائق التى عرفت من الإضافات والتغيرات التى تأثرت بها بعض الأديان ومن هنا تجرى محاولة الدعوة إلى تطوير الدين ، وهى دعوة قامت فى الغرب حين عجزت العقائد عن الاستجابة لمتغيرات الحياة فاختصعوها للتطوير ، ولكن هذه الدعوة باطلة حين يراد تطبيقها على الإسلام وعلى الشريعة الإسلامية أو على اللغة العربية التى حملت أمانة النص القرآنى المنزل .

إن عملية خلط الأوراق التى يحاول البعض أن يقوم بها باطلة وزائفة وسيرفضها الإسلام تماما ، تلك الدعاوى عن وحدة الأديان ، أو عن تماثل الإسلام مع الديمقراطية أو الاشتراكية كل هذا زيف خادع فأين الإسلام : شريعة الله الربانية الخالدة بالمقارنة إلى الأيدلوجيات البشرية التى تصدعت وأصابها الاضطراب وغلبتها متغيرات الزمن فاحتاجت إلى الحذف والإضافة ؟ كذلك فإن هذه

المحاولات التي يقوم بها من يلبسون ثوب الإسلام ويدعون الغيرة عليه ويحاولون تبرير الواقع وقبول الرخص ، ليرضى عنهم أصحاب المصالح والخبراء الأجانب الذين يخفون العداوة والبغضاء ، ويطالبون بالتنازلات وراء التنازلات وهم يعملون أنهم بذلك سيصلون إلى هدم تلك الحواجز الأساسية والقيم الرئيسية التي تفصل الإسلام عن سائر الأديان ، حتى لا يظل قائما كالمنارة السامقة في وجه المذاهب والأيدلوجيات ، هذه المصالحة المدعاة ، تحت أسماء كثيرة ، وهذه المحاولات للتواصل والالتقاء بين الشاطئين ، بدعوى أن الخلافات بين الإسلام والفكر العربي يسيرة ، أو في مجال الحوار بين الإسلام والأديان وهم يعلمون جيدا . أن المنابع مختلفة اختلافا عميقا ، صحيح أن دين الله واحد في أساسه ، وأن الفكر الإنساني قام على أساس رسالة الأنبياء ، ولكن يجب أن يكون معلوما أن هناك تغيرات كثيرة حدثت ، ومعالم كثيرة قد تغيرت ، وأن تتابع الأديان لتصل إلى الرسالة الخاتمة قد انقطع ، وقامت بدلا منه دعاوى أقرب إلى القبلية ، ونشأت عقائد جديدة منها التعدد ، والخطيئة ، والخلاص ، واختلط مفهوم الألوهية بالبشرية والنبوة ، وقامت على ذلك فلسفات وقضايا ومذاهب وأيدلوجيات تفصل بين الروح والمادة ، وتحركت المجتمعات من الرهبانية إلى ما يسمى ثورة الجنس ، مروراً بالإلحاد والإباحة ومذاهب العري والوجودية والهيبيية ومذاهب (فرويد وسارتر وديوى ودوركايم وماركس وميكافيلي) كل هذا مر به الفكر الغربي المسيحي الأصيل في جولة ضخمة خلال ثلاثة قرون فترك آثاره البعيدة على السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية .

فكيف يمكن أن يقال اليوم إن ما بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي يسير ، وأن المسلمين يستطيعون أن يحتفظوا بتراثهم ، ويأخذوا الفكر الغربي الحديث ، الذي يختلف مع ناحية التوحيد

والأخلاق والشورى والعدل الاجتماعى والإخاء الإنسانى ؟ ويختلف مع مفهوم مهمة الإنسان فى الأرض والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والبعث والحساب والجزاء الأخرى ، ويختلف مع مفهومهم للحضارة والعلم وتوزيع الثروة وبناء المجتمعات •

إن الاختلاف اليوم بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى بعناصره الثلاث : الليبرالى والماركسى والصهيونى ، هو خلاف عميق بالغ العمق ، وهو أكثر سعة وأشد عمقا من الخلاف الذى قام بين الفكر الإسلامى والفكر اليونانى والفارسى والهندي فى العصر الأول • ذلك أن ذلك الفكر كان فكراً ميتاً لا تقوم عليه حضارة ، ولكن الفكر الغربى اليوم قائم من وراء حضارته المسيطرة فعلاً على العالم الإسلامى ، والتى فرضت عليه نفوذاً كبيراً فى مجال التعليم والثقافة والصحافة بحيث حصرت فى دائرة فكرها المغرب ، إلا قليلاً ، كما فرضت نفوذها على ما يترجم وما يكتب •

إن الدعوة إلى الانفتاح على الغرب فى مجال الفكر يجب أن تكون مشروطة بحاجة الأمة الإسلامية وبما يصلح لها — وبحريتها الكاملة — فى قبول ما يتفق مع جوهر فكرها ، وأن يصبح ما تقبله هنا مادة خاماً من حقها أن تشكلها كما تريد لا أن تغير ذاتية المسلمين وتتحرف بوجودهم الأصيل •

إننا فى حاجة إلى العلوم التجريبية وحدها من الغرب ، ولسنا فى حاجة إلى أسلوب العيش أو الأدب أو المفاهيم الاجتماعية الغربية فإن ذلك كله يختلف مع جوهر مفهومنا الاجتماعى والأخلاقى ، وإننا فى حاجة إلى الوسائل والأدوات ، ولسنا فى حاجة إلى المناهج ، ولن نستطيع أحد أن يفرض علينا أسلوب العيش الغربى أو أخلاقيات الغرب ، فما من أمة اقتبست من الحضارة القائمة فى عصرها قبلت التبعية أو الانصهار فى بوتقة الأممية • إن دعوانا الأولى والكبرى اليوم هى الخروج من التبعية •

نقول للداعية إلى الله

نريد إسلامنا صافيا خالصا مجردا من تفسيرات الاعتزال أو دعوات المتكلمين أو تعقيدات الفلاسفة أو تأويلات الباطنية .

نريد أن يدخل الإسلام في مرحلته الأصيلة المستمدة من المفهوم القرآنى ومن التوحيد الخالص .

ذلك أن هذه المحاولات التى تتحدث عن العقلانية أو عن التأويل أو عن التصوف الفلسفى كلها دعوات تحاول أن تخرج بالإسلام عن يسره وبساطته وسماحته وقطرته التى تقبلها كل العقول وترضى الوجدانات والقلوب وتلتقى عليها مختلف الطبقات فى فهم متكامل جامع للإسلام الذى يربط بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، ولاريب أن محاولة إحياء الاعتزال والتصوف الفلسفى والتأويل والمنطق والشك الفلسفى كلها محاولات ترمى إلى تعقيد الإسلام وإخراجه من يسره وسماحته .

ومن هنا فأعتقد أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى العمل فى الحقول الآتية :

أولا : الكشف عن حقائق الإسلام التى حاولت الدعوات الهدامة وسموم الاستشراق إخفاءها عن العيون ، من خلال أساليب لها طابع علمى براق ماهر ، والعمل على تثبيت مفهوم الإسلام الجامع فى النفس المسلمة بعد أن جرفته الدراسات التبشيرية والاستشراقية التى سيطرت على مناهج التعليم والثقافة والتربية الحديثة .

ثانيا : عرض الفكر الوافد على قاعدة الإسلام السياسية :

الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع

وكذلك عرض التراث الإسلامى الذى تشكلت جوانب كثيرة منه فى ظل ترجمة الفلسفة اليونانية وبتأثيرها • فلا تقبل إلا ما يطابق مفهوم الإسلام القائم على التوحيد الخالص •

ثالثا : مراجعة الفكر العالمى والإنسانى والوافد على ضوء الإسلام والتحفظ فى قبول المترجمات من الآداب الغربية ما لم تكن واضحة الوجهة مسددة ، بغرض صحيح لظروفها وأوضاعها ووجهة كتابها •

رابعا : إثارة الإيمان العميق بالفكرة الإسلامية القرآنية وأثرها فى الحضارة الإنسانية ، والدور العميق والخطير الذى قدمه الإسلام فى مجال العطاء العلمى والمعرفى حيث قدم الإسلام : المنهج العلمى التجريبي ومنهج المعرفة ذى الجناحين ، كما قدم للبشرية قانون الوجود (نواميس الكون) وقانون الحضارات والأمم الذى يسمى سنن الله فى الأمم والحياة •

خامسا : الكشف عن ذخائر التاريخ الإسلامى والبطولات وتحليل سيرة الرسول — ﷺ — التى هى نبراس الأسوة الحسنة والقُدوة للمسلمين فى مختلف تخصصاتهم ، الكاشفة عن البطولة الإسلامية فى مجال العلم والتجارة والحرب والسلام والحكم •

تكامل الإسلام

أولا : ليس علينا أن نأخذ مفاهيم الغرب لنطبقها على القيم التى نؤمن بها ، ولكن علينا أن ندرس مفاهيم الغرب دراسة مقارنة لنعرف متى الالتقاء ومدى الاختلاف بين مفاهيمها وصولا إلى الأصالة، والتماساً للمفهوم المتكامل الجامع ، ومع مواجهة الانشطارية الغربية

وأن نكشف عن وجهة نظر الإسلام في كل القضايا التي تدرس في مفاهيمنا وجامعاتنا مقطوعة الصلة بأصولها التي نشأت منها وبأصالة نظرتنا إليها •

ثانيا : إن أى مذهب أو نظرية مستحدثة يجب أن تعرض على أصول فكرنا الإسلامى ، ذلك أن فكرنا متجدد بطبيعته قابل لاستيعاب التغيرات ، ولكنه قائم على أساس ثابت وله جذور وضوابط « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالبية وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » كما يقول نبينا - ﷺ - •

ولذلك فإن علينا أن نكشف دائما عن الفوارق الدقيقة من مفاهيم الفكر الإسلامى والفكر الغربى فى مختلف المجالات ، إن مفتاح الفارق العميق يتمثل فى أمور : التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب والبعث والجزاء التى يقوم عليها البناء الفكرى الإسلامى •

ثالثا : فى الوقت الذى تعجز فيه الحضارة الغربية عن فهم مصدر الخطر وتقف فى صلف لا تريد أن تصحح موقفها ، تقف الحضارة الإسلامية موقف الفهم الصحيح ، والاتجاه السليم نحو تصحيح موقفها وتحرير نفسها ، ذلك باتجاهها إلى المنبع الأصيل (القرآن الكريم) مؤمنة بأنه هو المصدر الأول الذى يمدّها بطوق النجاة كمحاولة جديدة للنماء والتجدد •

رابعا : لا ريب أن الانفتاح على الفكر العالمى له محاذير وأخطاء ومن أجل هذا لابد أن توضع له قواعد وضوابط بما يحفظ للشخصية الإسلامية أصالتها واستقلالها ودورها الحضارى البناء •

خامسا : إن تكامل الإسلام فى مجال البحث العلمى يعنى أن البحوث لا تتقطع عن سياقها التاريخى ولا عن أهدافها ولا عن

ارتباطها بنقطة البدء الأولى في الإسلام وهي تكامل النظرة : نفس وعقل ، تربية العقل لتحريره من الضلال وتربية النفس لتحريرها من الأهواء •

سادسا : إن الأخذ من الغير مقيد بشرط أساسى هو المحافظة على أصالتنا ، لقد قدم الإسلام لنا النظرة المتكاملة الجامعة ، ثقافة وحضارة ، عقل ووجدان ، جماع نظرة الفقهاء إلى التشريع والمتصوفة إلى الوجدان ، وعلماء الكلام إلى العقائد ، والأخلاق إلى العلم ، والمؤرخين إلى السير ، والبلاغيين إلى اللغة والأسلوب ، والفلاسفة إلى ما وراء الطبيعة ، لا تستطيع نظرة من هؤلاء أن تتفرد بأنها نظرة الإسلام •

لنعرف مصادر الخطر ونتحاماها

يجب أن تكون للأمة الإسلامية المؤمنة بربها ذاتيتها الخاصة وتكوينها الخالص ، المستمد من ثقافتها الإسلامية الأصيلة المستقلة بأصولها ومفاهيمها عن زيف ما تذيعه صحف التغريب وكتبه ونشرااته ، وأن يكون للمسلمين تكوينهم الخاص وتربيتهم الإسلامية لأبنائهم وأسرههم ، دون أن يطغى عليهم المجتمع العام ويفسر عليهم طرائقهم ومعاملاتهم ، وليدخلوا هذا المجتمع الصاخب في حذر شديد مراقبين الله تبارك وتعالى في معاملاتهم ، يحلون الحلال ويحرمون الحرام ، دون أن يصهرهم هذا المجتمع ولا يحتويهم ، وأن يعرفوا مدى الأخطار التي يوجد بها التلفزيون والمسرح والأغاني والمسلسلات على إيمانهم وحياتهم ، وعليهم أن يوجهوا أبناءهم في حسم إلى التفرقة بين المجتمع الإسلامي وبين هذا الموقف المتلاطم المضطرب الذي يختلط فيه الخير والشر والحسن والقبيح ، وأن تكون الأسرة المسلمة قادرة على التحرر من قيود التبعية ومرتفعة فوق الاحتواء ، تنظر إلى تلك النفثات والسموم في حذر شديد ، وهي تعرف أخطارها فتجنبها راضية بحياة بعيدة عن البريق ، هذا المجتمع يتشكل على أساس الإيمان بالله والفهم العميق الأمانة العقيدة ومسئوليتها في إقامة المجتمع الإسلامي المنتزم داخل المجتمع الإسلامي الكبير ، مستكملا نقص التعليم في البيت ومقيما مفهوم التربية الإسلامية في داخل الأسرة ومطبعا لمفهوم المعاملات الإسلامية على نفسه وأسرته وآله ، أما الذين يرون أن الأمة الإسلامية لا تستطيع أن تشق هذا الطريق ، وأنهم أعجز عن الاستقلال بمفاهيم الإسلام فهم أصحاب مفاهيم التعطيل والتأويل والأخذ بالرفض ذلك أن الأمة الإسلامية حين تعرف مصدر الخطر والقامر الواردة إليها عن طريق وكالات الأنبياء

والمسرح والقصة ، وعن طريق الأيدلوجيات والمذاهب الوافدة في الثقافة والفكر والصحافة ، فإنها تستطيع أن تتحاماها مادامت قد عرفت مصادرها اليهودية التلمودية ، وغايات أهلها من استعمارين وماركسيين ، ورأسماليين ، يطمعون في السيطرة على مقدرات هذه الأمة وعلى احتواء أهلها بإدخالهم في بوتقة الفكر الأممي ، إن الذين يثبطون عزيمة الأمة عن المقاومة هم أكبر الأعداء لهذه الأمة وهم أشد عليها خطراً من التغريبين أنفسهم •

ضوء الفجر

إن محاولة تأصيل واسعة تطرح نفسها بقوة في أفق الفكر الإسلامي ، وهي تصل اليوم إلى أبعاد مختلفة ويجب أن لا تقف عند مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، بل تتعدى ذلك إلى مجال العلوم والفنون وإلى مجال الحضارة والمعمار في سبيل إحياء أسلوب العمارة الإسلامية بعد أن طغت ظاهرة العمارة الغربية كجزء من خطة التغريب التي تهدف إلى تقبل أنواع الفنون المعمارية الأجنبية دون تقدير لوجوه الحاجة والمنفعة والمظهر الأصيل .

إننا مطالبون بثلاث أمور (أولا) : بإعادة النظر — في ضوء الإسلام — إلى كل ما يقدم لنا من نظريات .

(ثانيا) : إعادة تقييم المرحلة السابقة من تاريخنا المعاصر (فكرياً وأدبياً وثقافة) تلك التي أطلق عليها جيل العمالقة والقمم الشوامخ .

(ثالثاً) : التخفف من المصطلحات الأجنبية المعبرة عن تصورات ومصالح أجنبية ، غربية عن كيان الأمة الإسلامية ومصالحها مع تأكيد الالتزام بمصطلحات نابعة عن عقيدة الأمة وتاريخها وتراثها وجوهر فكرها وشخصيتها الإسلامية .

إننا مطالبون بالمحافظة على التميز الذاتي لشخصيتنا الإسلامية والانطلاق على نحو تجدد به نفسها دون أن تقع في مأزق الجمهور أو الانصهار إن نقطة الانطلاق هي أن يعترف المجتمع بائتمائه إلى الإسلامية وما يتبع هذا الانتماء من التزام وسلوك .

إن هناك هدفاً وراء مؤامرة الاحتواء والحصار التي تقوم بها

قوى التغريب والغزو الثقافى هى : إخراج المسلمين من منهج حياتهم الأصيل الذى رسمه لهم القرآن الكريم ، وإزالة التميز الخاص للذاتية الإسلامية •

إن للإسلام مقاييسه الواضحة فى النظر إلى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ ، تختلف اختلافا واضحا عن تلك المفاهيم الوافدة ، فهى مستقاة من الفطرة الأصيلة ومن القيم الأساسية ، التى علمها الإسلام الأمتنا منذ أربعة عشر قرنا ، بينما لم تعش المفاهيم الوافدة أكثر من مائة عام •

إن التغريب هو الاحتواء والانصهار فى بوتقة الأممية إن الحفاظ على الكيان (العقيدة واللغة والتاريخ) يتطلب بقاء واستمرار عامل القدرة على المقاومة والمرابطة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستعداد لمواجهة كل عدوان • ماذا نأخذ وماذا نعطي فى صلاتنا الفكرية والأدبية والفنية بالعالم أجمع ؟ إن المسألة ليست مجرد أخذ وعطاء ولكن يجب أن نحدد ماذا نأخذ ، وماذا نعطي ، وما هو المعيار الذى نأخذ به ونعطي ، وما هو الطابع المميز لشخصيتنا الفكرية بين الأخذ والعطاء • لكلا التيارين الوافدين (الغربى والماركسى) أتباع وحواريون وكهان وما استطاع فكرنا أن يهضم ما قدموه أو يحوله إلى عناصر فى شخصيتنا لأنه يختلف معها فى الجذور •

بين الوحدة البشرية والتمايز الثقافي

إن أخطر ما يواجهه المسلمون اليوم أن يجدوا بين أيديهم دراسات ومؤلفات تقدم لهم الفكر الإسلامى من وجهة نظر غربية مسيحية أو ماركسية اشتراكية ، وكلتاها تختلف اختلاف أساسيا عن مفهوم الإسلام الأصيل الذى هو (أيولوجية كاملة) ومنهج حياة ونظام مجتمع .

هذه الدراسات يجب النظر إليها بحذر شديد وشئ من الشك فى هدفها ، ذلك أنها لم يقصد بها تقديم الفكر الإسلامى تقديما صحيحا ، أو وضعه فى ميزان الإنصاف ، ولكن قصد بها إلى انتقاصه والغض من شأنه بهدف واضح هو تخريبه وتزييف مفاهيمه وإثارة الشبهات حول حقائقه .

ويتمثل هذا العمل فى عديد من دوائر المعارف التى نجدها بين أيدينا الآن فى كل المكتبات العامة وفى الجامعات والمعاهد التى يتلقى فيها أبناؤنا العلم ، و نجد هذه الموسوعات ميسرة جدا للرجوع إليها فى أى وقت ، ومن هنا يكون الخطر لأن هذه الموسوعات الميسرة (دائرة المعارف الإسلامية ، المنجد ، الموسوعة الميسرة) مسمومة فى كثير من موادها ، وإنها لا تقدم المفهوم الصحيح الذى يمثله الإسلام فى جوهره الحقيقى ، لذلك فإن علينا أن نكون على حذر فى مواجهة هذه الموسوعات .

إن هناك نظريتين تكشف النظرة الأولى لهما عن أنها متناقضتان ولكن بشئ من التأمل نجد أنهما متكاملتان : نظرية الوحدة البشرية ، ونظرية التمايز القومى الخاص ، ذلك أن هناك خصائص عامة توجد حيث وجد الإنسان ، فالإنسانية كلها تلتقى عليها ، وهناك خصائص ذاتية لكل أمة نتيجة دينها وعقيدتها ولغتها وثقافتها . فالعلوم

والمعارف عامة ، والثقافات خاصة ويمكن لكل أمة أن تنتفع بالعلوم والمعارف العامة كما نشاء ولكنها يجب أن تكون حذرة في اقتباس الثقافات حتى لا تطغى أى ثقافة منها على معالم ذاتيتها الخاصة فتذيبها في بوتقتها أو تحتويها ، وقد أعطى الإسلام للأمة الإسلامية تميزا خاصا وهوية واضحة ، والمسلمون مطالبون بالمحافظة عليها وحمايتها والحيلولة دون انصهارها في الأمم الأخرى •

وقد تتلاقى الأمم الغربية أو تختلف ، ولكنها في النهاية تدين بدين واحد يختلف عن دين الإسلام •

ويعطى التمايز الثقافى اختلافا واضحا في قضايا متعددة : منها قضية العلاقة بين الرجل والمرأة وبناء الأسرة ، ومنها قضية التعامل الاقتصادى ، ومنها قضية التعامل مع المجتمعات بالأناثية أو الغيرية ، ومنها النظرة العامة المادية في الغرب ، والجامعة بين الروح والمادة في الإسلام • وفي إطار الإسلام فإن الخلافات في الوطن والبيئة والعادات والتقاليد تكون يسيرة وقليلة بالنسبة لأوجه الالتقاء المتعددة والواسعة والعميقة في مختلف المفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لأن عطاءنا الحقيقى لا يجعلنا في حاجة إلى اقتباس ، إن طابع الإسلام لا يقبل المشاركة أو المداخلة أو الاحتواء •

في الغرب يقولون إن نظريتهم هى مزاج بين الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والدين المسيحى، وفي الشرق يقولون أن(الماركسية) مزيج من الفلسفة الألمانية والاقتصاد الإنجليزى والفكر السياسى الفرنسى ، أما نحن فإن الإسلام يجعل التوحيد أساسا لتقبل أى مفهوم في إطار الإسلام ، ومن قبل كان كذلك موقفه من فكر الوثنية الفارسية ، والمادية الإغريقية ، والكابالا الهندية ، وسيظل طابع الإسلام واضحا مهما حاولوا ربطه بالديمقراطية أو القومية أو الاشتراكية ، فالإسلام لا يقر المزج والتركيب في الفكر البشرى •

إن هذه الدعاوى لن تعيش إلا قليلا : تلك التى تخط بين الإسلام والماركسية •

إعادة صياغة المجتمع الإسلامى من جديد

إذا قلت إن مهمة الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة من تاريخنا فى العقد الأول من القرن الخامس عشر هى إعادة صياغة المجتمع الإسلامى من جديد على طريق الله ما عدوت الأمل الذى يملأ الصدور والذى هو حجر الزاوية الحقيقى فى أن المجتمع الإسلامى يجب أن يعود إلى منهج الله بعد أن جرفته الحضارة المادية المعاصرة ببريقها الخاطف وإغراءاتها ورياحها التى تحاول أن تخرج المسلم من الحدود والضوابط التى رسمها الإسلام .

إن الصحوۃ الإسلامیة تعنى أول ما تعنى أن المسلم قد عرف مسئولیته ، عرف حدود سعيه فى الحياة ، هذا السعى الذى هو العمل الدائب المستمر من أجل العمران والرزق ، جريا وراء الكسب الحلال وحده ، ثم هو لا يتوقف عن رعاية أبنائه وأهله لإقامتهم على الحق ، مشكلا بيته وأبنائه على الإيمان بأن الحلال وحده هو المطعم الوحيد الذى يقبله الله تبارك وتعالى ، مهما كان ضيقا أو قليلا ، صارفا وجوهم عن البريق والترف الذى فيه طلاب الحرام . ويحرص على حماية أبنائه وأهله من انحرافات أدوات التسلية والمسلسلات المنحرفة والقصص الهابط ، وفساد بريق الصحف الصور العارية والأغاني الخليعة ، وليس ذلك سهلا وميسرا فى مجتمع يضطرب بألوان الفساد والانحراف ، ولكنه ممكن مع غرس الإيمان فى القلوب ، وتعويض هذا الزيف بثقافة إسلامیة طيبة .

تلك هى رسالة الآباء والأمهات اللاتى يشكلن الأسرة الإسلامیة الجديدة ، فليس يكفى أن يلتزم الشباب بالعبارات والشابات بالحجاب ، وإنما لابد من بناء النفس فى داخل هذا الكيان بإسلام الوجه لله ، وبيع الروح له ، وإقراض الله تبارك وتعالى ، والانتقال

من الأنانية إلى الغيرية والإيمان بالمسئولية الفردية مصاغة في قالب الالتزام الأخلاقي •

فإذا مضت البراعم الجديدة على هذا النحو تكونت الأمة المؤمنة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، وتأسس رأى عام يحل الحلال في وكل أعماله ويحرم الحرام ، ولا يقبل الربا ، ويرفض الكسب الذى يأتى عن طريق الخداع أو الغش أو (التهليب) •

هذا هو المجتمع الجديد الذى نتطلع إلى أن ينشأ في محيطه الأجيال الجديدة المؤمنة بالله القادرة على بذل الجهد في حماية نفسها من أخطار الحضارة المدمرة وإسقاط مفهوما المفضل الذى يدفع الناس إلى الاستمتاع بالحياة قبل أن يتخطفها الموت ، وأن يكون المال وسيلة إلى الاسراف والإفساد في الأرض دون تقدير لأن المال امتحان للإنسان وأنه حساب ومسئولية في الآخرة •

إن المجتمع الإسلامى يجب أن يتحرر من الانحرافات والأخطار التى حولته عن وجهته الحقيقية ، وأهم ما في ذلك كله العلاقة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأبناء ، فقد حرص النفوذ الغربى على إفساد هاتين العلاقتين وإثارة السموم حولهما بهدف تدمير اللبنة الأولى في المجتمع وتخريجها وهى الأسرة حرص على أن يدفع بالمرأة إلى خارج البيت بغير هدف محدد أو ضوابط حقيقية ، وليس في عمل المرأة ما يعاب عليها إذا كانت في حاجة إليه ، أو كان من الأعمال المناسبة لها ، فإذا كانت هناك مفاضلة بين تربية الأبناء وبين العمل فإن تربية الأبناء : هى الرسالة الأولى والكبرى وهى مسئولية المرأة أو أخيرا • فلنحذر من حوار المسلسلات والمسرحيات ، فإنه يريد أن يدمر قيمنا ويصهرنا في بوتقة الإباحية ويحطم قدرتنا على مقاومة الأخطار •

ولقد كان النفوذ الأجنبى والتغريب حريصا على هدم هذه

المهمة لإخراج أجيال تربت في أحضان الخادمت ففقدت الحنان أساسا ثم لم توجه الوجهة الإسلامية الصحيحة منذ نعومة أظفارها .

ولقد كان علينا أن نكشف للمرأة المسلمة عن المؤامرة التي قادتها إلى تدمير عرشها وتدمير الأجيال ، حتى جاءت المرأة الغربية نفسها التي أخرجتها المؤامرة الماسونة لتعترف بالخطأ ، وجاء خبراء وعلماء أمثال « الكسى كاريل » وغيره ليكشفوا للمرأة الغربية الحقيقة التي قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا وهي أن للمرأة مهمة مختلفة عن مهمة الرجل ، وأن جهازها البيولوجي والنفسي والجسماني مختلف اختلافا عميقا عن جهاز الرجل لأن الله تبارك وتعالى خلقها لمهمة مختلفة ، وقد أعطاها ، الله تبارك وتعالى قدرات خاصة بهذه المهمة منها العاطفة والحنان والصبر على رعاية الأبناء .

ولقد استطاعت المرأة المسلمة في ظل الصحوة الإسلامية أن تحسم موقفها وأن تدخل في أمر الله حين قبلت الحجاب والتزمت به ولكنها في حاجة إلى أن تستكمل أمانتها بأن تخلص عن بعض المناقض كالروح وطول الأظافر والحزام الذي يصف الجسد ويحدده ، أو ضحكات الطريق والتثني مما يفسد هيئة المرأة ولقد شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا اللباس الإسلامي حاميا لها من نظرات الفضوليين ومعايشة العابثين ، فلتتمش في الطريق إلى غايته حتى تكون رضاء الله عنها شاملا .

إن عودة المرأة إلى الله هي حجر الزاوية في تصحيح طريق المجتمع ، وهي العامل الأكبر في إعادة صياغة المجتمع الإسلامي من جديد ، أما الشباب المسلم فمستوليته كبيرة ، وأهم مسئولياته هي الثقافة والفهم والتعرف الصحيح على مصادر الخطر وعلى المهمة الحقيقية للشباب المسلم في هذا العصر . لابد من معرفة مفهوم الإسلام الحقيقي الذي يحمي هذا الوجود من الانصار أو الانهيار ،

إن أخطر المخاطر التي تواجه شبابنا هي الانصهار في بوتقة الحضارة
المنهارة التي تهدف إلى القضاء على القيم والضوابط والحدود التي
أقامها الدين الحق لحماية الإنسان من التدمير وحماية المجتمع من
الانهيار .

إن قوى كبرى تود أن ينهار هذا الشباب تحت ضربات الفساد
والإباحية والسموم والخمر وبنات الليل والحرام حتى تسقط هذه
الأمة في براثن ومخططات بروتوكولات صهيون والماسونية .

إن هذه الأمة قد أقامها الله تبارك وتعالى في هذا المجتمع من
كوكب الأرض لتكون حامية لمقدساته ، مدافعة عن حماه فهي (أمة
الرباط) إلى يوم القيامة ، وهي مطمح الغزاة في كل عصر وجيل وهي
التي وعدّها رسول الله - ﷺ - بالنصر والثبات (إذا لقيتم فئة
فاثبتوا) وقال إنهم في رباط إلى يوم القيامة ودعانا إلى أن نتخذ منها
جندا كثيفا فهم خير أجناد الأرض إنا أمة الجهاد في سبيل الله ،
وأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن يريد أن يخرجنا من
هذه الرسالة فإنه يفعل المستحيل ويجري ضد التيار ، ويحاصر هذه
الأمة في دائرة مظلمة وهي دائرة التغريب بعد أن عاشت أربعة عشر
قرنا في دائرة الضوء والتماس المنابع والأصالة والرشد الفكري ،
إن هذه الأمة لن تصلح إلا إذا عادت إلى قيمها وأصولها ، وإن هذه
الأمة قد قيض الله لها أن تستعيد قدرتها من مصادرها الأساسية
وليس من معين آخر ، إن أسلوب العيش الإسلامي هو منطلق النصر
والتقدم وامتلاك الإرادة والتمكين في الأرض ، هذا المنطلق القائم
على منهج الله ونظام المجتمع الذي قدمه القرآن الكريم لنا من خلال
مفهوم المعرفة الجامع بين الروح والمادة والدنيا والآخرة والذي
يمتلك اليوم الطاقة والثروة والتفوق البشري ، وإن كل معطيات
العلم الحديث التي نلتمسها من الغرب ستكون بمثابة (مادة خام)

(م ٧ - المعاصرة في إطار الأصالة)

نشكلها في دائرة مفهوم التوحيد الخالص ونصهرها في بوتقتنا
ولا ننصر في بوتقة أى حضارة أخرى •

إن مفهومنا الثقافى الجامع الذى يفهم خطه مؤامراه التغريب
والغزو الثقافى لحضارتنا واحتوائنا ويدفعها بقوة هو الذى يدعونا
إلى إعادة صياغة مجتمعتنا الإسلامى من جديد على طريق الله ، وفى
ضوء القرآن •

مسئوليتنا إزاء الأجيال الجديدة

إن « أمانة القلم » التى وضعها الحق تبارك وتعالى فى أعناق
الكتاب تحتاج إلى إيمان راسخ بحق هذه الأمة فى أن تسمع كلمة
الصدق خالصة نقية بعيدة عن الإخفاء أو المبالغة أو التهويل ، فالرائد
لا يكذب أهله ، وهى مسئولية أمام الأمة وأمام الله تبارك وتعالى ،
وقد خاب من دساها ، وهذه أجيالنا الجديدة المؤمنة المتطلعة إلى أداء
دورها فى المجتمع ومعرفة مسئوليتها ودورها ، فى حاجة إلى كلمة حق
تضىء الطريق وتملأ تلك القلوب بالثقة والإيمان فى هذه الرسالة التى
وكل إلى الكاتبين تبليغها وأداؤها متجردين فى سبيل ذلك من كل هوى
وغرض ، ومن كل مطمع وجزاء مادي ، وأشد الناس حسابا يوم
القيامة أصحاب الأقلام الذين حجبوا عن أمتهم صدق الوجهة وطمعوا
فى مرضاة أصحاب السلطان ، فإذا طلب إلينا أن ندلى بدلونا فى هذا
المعترك الفسيح فإننا يجب أن نثبت على الطريق الذى مضينا عليه منذ
أول الشوط وهو أن نقول كلمة الحق وأن نضئ الطريق للفهم أمام
الأجيال الجديدة •

ومن هنا فإننا لا بد أن نعرف بأن هناك مؤامرة خطيرة رسمت
خطوطها منذ مائة عام ، وهى تمضى فى مراحل وتحاول أن (تغرب

الإسلام) بأن تخرجه عن مفهومه الأصيل ، وقد اعترف بذلك (هاملتون جب) في كتابه (وجهة الإسلام) ، وتؤكد أن هذا مخطط وضع بعد هزيمة الغرب في الحملات الصليبية بهدف إحلال (حرب الكلمة) بدلا من (حرب السيف) عن طريق (تزييف ، تحوير ، تطويع ، تحديث ..) كل هذا له معنى واحد هو القضاء على الذاتية الإسلامية الأصلية القائمة على مفهوم الإسلام الصحيح بوصفه (منهج حياة ونظام مجتمع) وأن كل ما قامت به دوائر الاستشراق والبشير والتغريب والغزو الثقافي يهدف في النهاية إلى : وضع مخطط لإسلام يرضى عنه الغرب ، مفرغ من وجهته الربانية مقصوص الجناحين ، مجرد من ذاتيته الخاصة القائمة على أمرين : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الجهاد فريضة الله الماضية إلى يوم القيامة والمرابطة في الثغور ، يثبت ذلك ما نجده اليوم أمامنا من ظواهر : ادعاء النبوة واستشراء البهائية ووحدة الأديان والقاديانية وكتابات مسمومة ترمى إلى التشكيك في الوحي وتدعو إلى إعلاء العقل ، والتشكيك في السنة ومهاجمة صحابة رسول الله وتصويرهم بصورة السياسيين المحترفين على هذا النحو الذي تناولته أقلام لامعة وأفردت له صحف كبرى صفحات واسعة ثم حالت دون الرد عليه أو مناقشته ، كل هذا يوحى بأننا على طريق خطر : هو (إسلام مغرب) .

وإذا كانت الصحوة الإسلامية صادقة في وجهتها ، ثابتة في خطواتها نحو انتقال الأمة الإسلامية من مرحلة (تصحيح المفاهيم) إلى مرحلة (تغيير العقول والنفوس) فإننا نجد هناك مواجهة تؤكد انزعاج التغريب لسقوط خططه التي عمل على رسمها وجند لها الأتباع سفوات ، وفي مقدمة ذلك الإعجاز العلمي والطبي في القرآن الذي أفرز من يقول (إن القرآن له حدوده في مجال العلم) مع أن القرآن هو الذي وضع قاعدة المنهج العلمي التجريبي المعاصر بآياته (قل انظروا) و (وقل هاتوا برهانكم) .

وتجرى محاولة الهجوم على السنة والحديث النبوى وتشويه التاريخ الإسلامى للوصول إلى التشكيك فى صلاحية الشريعة الإسلامية ، وتواجه كتابات « بوكاى » و « جارودى » بامتعض شديد فى محاولة لحجب قدرة الإسلام على اقتحام الوجدان الأوروبى . وما إحياء المذاهب الهدامة والفرق وإحياء دعوات جديدة ومتجددة (كالسوة والبهائية والقاديانية) إلا خطوات على طريق القضاء على (تميز الإسلام) بالذاتية الخاصة المنقردة بالتوحيد والعدل والرحمة والإخاء الإنسانى ورسالته إلى العالمين بعد إقامة مجتمعه الأصيل . ولا تخلو مهاجمة اللغة العربية الفصحى عن أن تكون جزءا من المخطط ، ذلك لأنه اذا استغلت العامية تحول القرآن الكريم — وحاشا لله — إلى كتاب أثرى يقرأ بقاموس كما تقرأ الكتب القديمة .

تلك هى صورة موجزة لمخطط المؤامرة التى تواجه أمتنا والتى نجد أنفسنا كأصحاب أقلام مسلمة مسئولين عنها أمام هذه الأمة وأمام التاريخ ، ومسئولية الله تبارك وتعالى أكبر ، فلنعرف مكاننا من المؤامرة ، ودورنا فى مقاومتها ، نعم : هذه أمة شكلت على منهج الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ولا يمكن أن يتم إصلاح لها إلا من منطلق الإسلام ولا ينفعها أى منهج خارجى فى سبيل وصولها إلى امتلاك إرادتها ، فمنهجها هو وحده القادر على التمكين لها ، ولقد كانت هذه الأمة تمر بالأزمات على مدى التاريخ فلا تجد مخرجاً منها إلا أن تعود إلى منهجها الربانى الأصيل وعندئذ يعود لها مجدها وعزها ، وهى لا تستطيع أن تقيس أمورها ولا تحل قضاياها ولا تعالج مشاكلها إلا من منطلق المنهج الربانى الذى رسم لها وسائل النصر وأسباب التقدم ، فإذا عادت إلى أصلاتها كشف الله تبارك وتعالى عنها أزماتها .

هذه حقيقة لم يعد في الامكان تجاهلها وهذه الأمة قد اختارت أن تسير على هذا الطريق ، على طريق بناء المجتمع الربانى الصادق الوجهة إلى الله تبارك وتعالى المتحرر من كل العوائق •

ويقيني أن أشد الأخطار التى تواجه أمتنا هى (الغزو الفكرى) الذى يحاول جاهداً أن يزيل هوية هذه الأمة وأن يصهرها فى بوتقة الأممىة العالمية حتى تفقد طابعها الإسلامى القائم على الجمع بين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة •

إن الهدف الذى يطمع فيه أعداؤنا هو وقوع شبابنا فى محاذير التحلل والأهواء والمطامع الصغيرة ، وبذلك يفقد مثله الأعلى وهو حماية الوجود الحقيقى لهذه الأمة وذلك بالتماس الأهواء المضلة •

ومن هنا فهذه مجموعة من الحقائق التى يجب أن تكون دائماً نصب أعين دعائنا وشبابنا لمواجهة الأزمة •

أولاً : لا بد أن يكون العمل الحقيقى المطروح اليوم هو (أسلمة العلوم والمناهج) وأسلمة التكنولوجيا : ذلك أنه لا بد أن يتسلح المسلمون إلى جانب فهمهم الأصيل للإسلام : (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) بهذا السلاح لكسر طوق التبعية والاستغلال ولتسخير طاقات مواردها لتنمية الإنسان المسلم والوطن المسلم ، وتحرير المستضعفين فى الأرض من السيطرة العالمية •

ثانياً : لابد من إقامة نظرية جديدة للتعليم الإسلامى تختلف عن المنهج التغريبي المفروض الآن فى عديد من البلاد الإسلامية حيث الولاء للوطنية الإسلامية الجامعة ، وتحصينه ضد المؤامرات وغرس الولاء للوطنية الإسلامية الجامعة ، وتحصينه ضد المؤامرات والمفاهيم الوافدة •

ثالثا : لا بد من وعى كامل إزاء محاولة إحياء الفرق القديمة والتيارات الضالة (كالباطنية والقرامطة وإخوان الصفا ، وبشار وأبى نواس وابن المقفع والحلاج وابن عربى والسهرردى) فكل هذه التيارات ترمى إلى هدم مفهوم أهل السنة والجماعة .

رابعا : إن التجربة الحضارية المعاصرة لا نقبلها تماما ولا نرفضها كلية ، ولكن نقبل منها ما يصلح لإحياء حضارة الإسلام على أن يكون كل ما نقبله بمثابة مواد خام ، تدخل فى نظام الإسلام بثوابته ومتغيراته ، وتتشكل داخله وفق مفهوم الإسلام للحضارة والمجتمع .

خامسا : قدم الإسلام مفاهيم ومقاييس صحيحة فى مختلف أمور الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تختلف اختلافا واضحا عن مفاهيم الغرب المطبقة الآن فى البلاد الإسلامية والتي ورثناها عن مرحلة النفوذ الاستعماري ، والتي يجب أن نتحرر منها .

سادسا : إن محاولة بناء منهج فكر عربى على أساس النظرية العلمانية تخضع له الأجيال الجديدة قد سقط تماما لأنه منهج زائف ، ليس أصيلا ولا مستمداً من تراث هذه الأمة أو قيمها ، وإنما كان محاولة لتبرير الواقع وتقبله ، وطرح مفاهيم مسمومة ترمى إلى عزل مفهوم الإسلام الجامع القائم على أنه منهج حياة ونظام مجتمع .

سابعا : لقد سقطت تجربتين : الليبرالية والماركسية فى التطبيق ، كما فشلت فكرة القومية الوافدة والإقليمية وسقطت دعاوى الفرعونية ، وما يقال عن الديمقراطية ليس هو مفهوم الشورى ، وما يقال عن الاشتراكية يختلف عن العدل الاجتماعى .

ثامنا : يجب التنبيه الى الخطر الذى يواجه الصحوة الإسلامية الآن وهو القضاء على التميز الخاص والذاتية الإسلامية وهو هدف التغريبيين والعلمانيين .

عصر القرآن

إذا كان بعض المفكرين قد أطلق عبارة (عصر العلم) على المرحلة التي تعيشها البشرية منذ القرن الخامس عشر الميلادي إلى اليوم فإننا نستطيع بكل ثقة و يقين أن نطلق على ما تتحول إليه البشرية اليوم حثيثا وتبدو في كل يوم علامة من علاماته ومظهر من مظاهره : « عصر القرآن » هذه العلامات قد تعددت واتسعت وانداحت على القارات الخمس حتى أصبحت الشمس لا تشرق كل صباح في أى قطر غربى إلا على مسلم جديد ، وهذه المحاولات في مراجعة الأخطاء وتصحيح المفاهيم وتغيير النظرة القديمة في كتابات المستشرقين والمبشرين ، وغيرهم ، وهذه الدراسات المنصفة التي تكتب عن محمد - صلى الله عليه وسلم - وعن الإسلام والقرآن واللغة العربية حتى يضع غربى مسيحي سيدنا محمد على رأس الأعلام المائة ، وهذا الاعتراف بفضل الإسلام على الحضارة الغربية ، وهذا التقدير الواضح للفقهِ الإسلامي وخصوبته وعظمته وآيات عطائه ، كل هذا يمثل نافذة رحبة يضيء منها القرآن على العالم اليوم ، في عصر الحيرة والشك والقلق والتمزق النفسى ، وحيث فقد الناس في العالم كله ثقتهم في الأيديولوجيات والمذاهب والدعوات بعد أن تكشفت لهم من ورائها أهواء وزيوف ، فهم يتطلعون إلى شئ فوق الشك ، يملأ القلب بالثقة واليقين ، شئ واحد على الأرض مازال مرتبطا بالسماء مستمداً منها ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو القرآن الكريم *

فنحن حقا وصدقا على أبواب (عصر القرآن) : عصر النور

الإلهى الكاشف ، وعصر الحقيقة الواضحة ، وعصر الإيمان واليقين ، وهو العصر الذى سيعطى كل شىء مهمته الحقيقية دون قصور أو تقصير . هذا القرآن الكريم « المنهج » الذى أعطاه الله تبارك وتعالى للبشرية عندما وصلت إلى مرحلة الفسوج والرشد والقدرة على التحرر من أهواء البشرية وطفولتها ، عندما أذنت بانتقالها إلى الإنسانية على يديه ، منذ خمسة عشر قرنا أهدى الله البشرية منهجها الربانى فى أسلوبه الرائع وبيانه الرفيع ومضمونه الكريم ، وبه قدم للإنسانية ثروة ضخمة واسعة فى مختلف مجالات الحياة ، ولكن البشرية أرادت أن تأخذ ما تهوى ، فأخذت المنهج التجريبي وصنعت به الحضارة وتجاهلت أن المنهج غير متكامل ، وغير جامع ، وغير مترابط ، وأن أى نظام يقوم عليه سيظل نظاما مضطربا ممزقا ، تخترقه الأحداث وتتقاذفه المتغيرات .

إن شرط (منهج القرآن) أن يطبق كاملا وأن يبدأ من نقطة البدء : من لا إله إلا الله ، حيث الإنسان والمجتمع والحضارة لله خالصا لا للمطامع ولا للأهواء ، ولذلك فإن المنهج التجريبي الإسلامى حين أخذته أوربا فصلته عن (البعد الإلهى) على حين أن أمر المجتمع والعلم والحضارة كله إلى الله وحده (٢) تجاهلت قانون الثوابت والمتغيرات (٣) أنكرت المسئولية الأخلاقية والمسئولية الفردية (٤) وهى أخطرها أنكرت ارتباط الفكرة بالتطبيق وارتباط المنهج بالتجربة وهى الخطوة الخطيرة التى أقدم عليها (ديكارت) فمزقت الحضارة الغربية منذ ذلك اليوم ، وعلى هذا النحو لم يعد فى إمكانها العودة .

ولا شك أن ارتباط المنهج بالتطبيق قضية كبرى فى القرآن
تتصدر سورة كريمة من سوره وتندق الأبواب بقوة لتقول :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون • إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »(١) •

هذه هي قوانين الإنسان في بناء الحضارة والمجتمعات والحياة ، فإذا انتقصت عجزت ، وأصابها الاضطراب ، واخترقتها المتغيرات ، ولوت هي عنقها وعصت فكان لابد من خرابها ، ولقد كشف القرآن من قوانين سقوط الحضارات وهزيمتها حتى ما تستعلى على الله وعلى الحق وعلى حدود الله ، وقد كشف القرآن « سنفن الله » في حضارات الأمم التي زاغت واستعلت بغير الحق : (فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً) (٢) . (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات والأرض إنه كان عليها قديراً) (٣) سورة فاطر •

لقد اندفعت الحضارة في طريقها فاستنزفت ثروات العالمين ، وفتحت أبواب الترف والفساد وأعطت الألوفا وحرمت الملايين ، وهددت البشرية بالأخطار الرهيبة ، فكان هذا آخر عصر العلم ، وأول عصر القرآن ، لقد قدم الله تبارك وتعالى منهجه الرباني للبشرية وترك لها حرية قبوله إذا شاءت (من يشاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقد أقبلت على منهجها البشري الذي يحقق أهواءها ومطامعها ، فماذا رأت ؟ ، رأت نفسها تعيش عصر الأزمة والتمزق والانهيال والفساد ، وها هي اليوم تتطلع الى منهج جديد ، الى نور جديد ، إلى مخرج لها من مرحلة الظلام الحالك الذي وصلت إليه •

(٢) فاطر/٤٣

(١) الصف/٢ ، ٣ ، ٤ •

(٣) فاطر/٤٤ •

إن كتابات المفكرين الغربيين الأعلام ، الذين درسوا الإسلام في الغرب وآمنوا به ، تكشف تماماً عن حاجة البشرية إلى نور جديد ، وليس غير القرآن ، وإلى منهج جديد ، وليس غير منهج الله ، انه هو وعلى مختلف البيئات وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يعطيها أمان الحياة وأشواق الروح وراحة الضمير .

لقد جربت أوروبا كل مذهب وكل أيديولوجية ، وجرت وراء كل صيحة ، ولكنها لم تتحرر يوماً من أهوائها ولم تلجأ إلى ربها ، ولم تلتمس الطريق الأصيل ، لا بد أن تعود البشرية إلى الله فتقبل حدوده وقيمه ، أما الإسلام فإنه لن يكون يوماً من الأيام مبرراً لفساد الحضارة ، ولا مؤولاً لأخطاء البشرية ، إنه الحق القوي الثابت الذي يجب أن تخضع له الأمم والشعوب وتخبت له القلوب والعقول ، على البشرية أن تسلم وجهها لله تبارك وتعالى وأن تقبل بطريقه وغاياته ، فالإسلام وحده هو القادر على أن ينقذها من أزمات التحلل والتمزق والفساد التي تحتويها الآن ، كما أنه ينقذها أيضاً من عذاب يوم القيامة ، إننا على أبواب (عصر القرآن) فإذا لم تصدقوا فراجعوا أوراكم مرة أخرى .

الإسلام في عصر القرآن

كتب العلامة « محمد فريد وجدى » كتابه (الإسلام في عصر العلم) في إبان ارتفاع موجة استعلاء نظريات العلم المادى ودخول نظرية « دارون » إلى بلاد الإسلام عن طريق ترجمة الدكتور « شبلى شميل » لها عن طريق أشد غلاتها وهو (بختر) الذى كان يطمع فى أن تسيطر هذه النظرية على المجتمعات الإسلامية فيتخذونها نظاما عاما ومنهجيا فى مختلف شئون الحياة والفكر معتقدا أنهم بذلك يخرجون من الجمود إلى التقدم ، وقد تصدى له هذا الكاتب المسلم ففند آراءه وكذب أحلامه ، وكان « السيد جمال الدين الأفغانى » قد هاجم المذهب المادى قبل ذلك بكتابه (الرد على الدهريين) •

وقد مضت منذ ذلك الوقت أكثر من سبعين عاما تكشف فيها
أمران خطيران :

أولا : أن النظرية المادية لا تستطيع أن تكون دينا ، أو تحل بدلا من أى دين لأنها تفقد العناصر الحقيقية للعطاء الذى يتطلع اليه الإنسان الذى خلقه الله تبارك وتعالى من قبضة الطين ونفخة الروح ، فاستوى بشرا سويا لا يصلح أمره إلا منهج ربانى متكامل ، ومن هنا سرعان ما سقطت نظرية سيطرة العلم على الإنسان •

ثالثا : أن نظرية « دارون » بالذات قد ثبت فشلها وتبين أن « دارون » وصل إلى نقطة معينة فلم يستطع أن يتجاوزها وهى الحلقة المفقودة ، وأن دعواه فى العلاقة بين الإنسان والقرد لم تثبت ، وكشفت الحفريات عن عظام الإنسان منذ مليون وستمئة

ألف سنة ، أن الإنسان ينتمى إلى فصيلة أخرى فصيلة القرد ، وأن أهم ما يميزه أن شكل الجمجمة والأسنان وعظام الساق تشير إشارة واضحة إلى شكله وكيفية سيره ، لأن زاوية ارتباط العمود الفقرى بقاع الجمجمة تؤكد أنه كان قادراً على المشى مثلك تماماً ، ولم تكن له صفات الوحش المقدس . نشر هذه الحقائق العالم « ليكى » (مدير المتحف الوطنى فى كينيا) الذى استمر فى أعماله الحفرية لمدة تقارب ثمانية وعشرين عاماً قبل أن يصل إلى اكتشافه الهام عام ١٩٥٩ ، وقد فسر « ليكى » الاكتشاف بأنه فرع جديد من شجرة التطور الإنسانى يختلف تماماً عن شجرة « دارون » وقد استمر فى أبحاثه حتى أصبح شوكة فى جنب علماء الأنثروبولوجيا ، كذلك فقد أذاع البرفسور «جوهانس هودير» العالم الأثرى فى سينمال بسويسرا بياناً ١٩٥٩ عارض فيه نظرية « دارون » بشدة وقال إنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالات القروء ، وأن التجارب الواسعة التى أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً ، وكذلك أعلن الدكتور « دونير » (جامعة كولومبيا) والبرفسور « هوردلر » ١٩٥٦ أن نظرية « دارون » لا أساس لها من العلم وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالاً تاماً ، فمنها الإنسان الذى يمشى على رجلين ، ومنها الدواب التى تمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطنها .

وصدق الله العظيم : « فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجليه ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء » (١) .

(١) سورة النور الآية ٤٥ .

وهكذا تبين أن العلم قد تضاعل وأحنى رأسه أمام القرآن ،
ذلك لأن العلم نفسه : هذا العلم التجريبي هو من عطاء القرآن ، فلم
تكن هناك إلا نظرية التأمل الإغريقية وأفكار « أرسطو » عن ثبات
الكون ، ولم يكن هناك إلا رهبانية المسيحية ، حتى جاء الإسلام
فقدم للبشرية أصول العلم : « قل انظروا ماذا في السموات
والأرض » (١) — (النظر والاعتبار)
« قل هاتوا برهانكم » (٢) — (البرهان)

فكان النظر والاعتبار والبرهان مصدر المنهج العلمي التجريبي
الذي حمل لواءه المسلمون ، وراجعوا به كل تراث العلم القديم ،
فكشفوا أخطاء « جالينوس » و « أرسطو » وغيرهم ، وأقاموا منهج
التجريب لأول مرة في تاريخ العالم ، هذا المنهج الذي طورته
جامعات المسلمين في الأندلس (قرطبة وبلنسية وأشبيلية) ثم أخذه
الغرب وادعى علماءه أنه من عطائهم ، وأقاموا (مؤامرة الصمت)
حول عطاء المسلمين حتى كشفت الأحداث .

فالإسلام في الحقيقة هو الذي أقام المنهج العلمي
(١) التجريبي (٢) منهج المعرفة ذي الجناحين (المادى والروحى)
هذا المنهج الذي أقامه علماء الحديث ، وطوره علماء التاريخ والفكر
والاجتماع ، والذي وصل قمته بمقدمة « ابن خلدون » التي رسمت
للبشرية منهج كتابة التاريخ ومنهج الاجتماع .

كل هذا من عطاء الإسلام للبشرية مستمدا من القرآن الكريم ،
ولقد حاول الكثيرون التشكيك في نظريات « ابن خلدون » وادعوا أنه
عرف أفكارا يونانيا أو رومانيا ، ولكن جميع الدلائل تثبت أن
« ابن خلدون » هو ابن الأسس التي رسمها القرآن لقيام الأمم
والحضارات وسقوطها : هذه الأسس التي تطورت من خلال علماء
مسلمين كثيرين حتى استوت على النحو الذي قدمه (ابن خلدون) .

(١) سورة يونس الآية ١٠١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ ، سورة الأنبياء الآية ٢٤ .

وأينما توجه نظرك في مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تجد الأصول الإسلامية هي الأساس ، فما كان لدى الغرب عند ظهور الإسلام أو عند العالم كله شيء سوى شذرات من الفكر الوثني والأساطير ، بعد أن انفصلت الأمم عن كتب السـماء وعارضتها ، وأعلت من شأن الفكر الإغريقي الذي كان يسمى (علم الأصنام) أو الفكر الغنوصي الشرقي الذي شكلته المجوسية والباطنية وفكر الهندوكية والفرعونية والبوذية ، وكان ميراث التثليث القديم مسيطرا عليها أو ميراث الثنائية (النور والظلمة) ، أو مفاهيم « أخناتون » في عبادة إله الشمس بديلا من مجموعة الآلهة حتى أطلق عليه (التوحيد) تضليلا ، حتى جاء الإسلام فصعقت له كل هذه الآلهة المبجلة والوثنيات وعبادة النار وعبادة الأجساد ، وحرر النفس الإنسانية من الوثنية وحرر الإنسان نفسه من عبودية الحضارات والأباطرة ، يقول أرسطو وأفلاطون إن الرق شيء مقدس وأنه أساس لكل الحضارات وأن الرقيق لا يمكن أن ترقى إلى مكانة السادة الجالسين في القمة .

ولذلك فنحن حين نقول إن القرآن هو الذي أنشأ العلم ، وأن العلم الذي يعيش فيه العالم الآن مدين له وحده بهذا العطاء الضخم ، الذي أدخل البشرية في عصر التحولات الخطيرة والتكنولوجيا ، ولو أن الغرب حين أخذ منهج التجريب أخذ معه مفهوم الحضارة الإسلامية (الرحمة والعدل والإخاء البشري) لما وقعت البشرية في أزمتها التي تعصرها الآن وتذيبها ألوان الاضطراب والتمزق ، ذلك أن خطيئة الغرب أنه أخذ العلم التجريبي وفصله عن المنهج الإنساني الذي شكله القرآن فتحول سريعا إلى مادية عسرة شاقة ، هي شطر النفس الإنسانية المشكلة من المادة والروح ، ولذلك فإن هذه الحضارة قد جهلت المصدر الأول وأنكرته وتعالته عليه ،

ونسيت الخالق الصانع ، وأطلقت اسم (الطبيعة) عليه وهو في الحقيقة صانع الطبيعة ومنشئها من العدم ، لقد فقت الحضارة الغربية اليوم : ذلك البعد الرباني الذي هو دعامة البقاء ، وبذلك وضعت نفسها في موضع الحضارات السابقة الخارجة عن منهج الله والتي توعدا الله تبارك وتعالى بالتدمير .

« وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله محاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خيرا » (١) .

(١) سورة الطلاق الآية ٨ ، ٩ .

الانطلاق

إن أهم الأسباب التي عملت على عجز المسلمين عن الخروج من أزمة التخلف هي الاستسلام إزاء الغزو الفكرى وقبول التبعية والتقليد والانبهار بحضارة الغرب .

لقد تنبه المسلمون للخطر عندما احتلت الجزائر ١٨٣٠ ، وتحرك بعض المفكرين المسلمين لبحث هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة احتلال الأجنبي لديار الإسلام ، وقام الإمام « محمد علي السنوسي » بالعمل على مواجهة الأزمة ، فقام بعمل ايجابي واضح الدلالة في إعادة بناء أجيال الشباب على الفداء والعمل ونشر الدعوة الإسلامية ، وتجربة الزوايا السنوسية واضحة ومعروفة ، وإذا كانت هذه التجربة قد قامت في محيط البلاد العربية أو شمال إفريقيا ، فإن التجربة التي سبقت في الهند والتي قادها الإمام « أحمد بن عرفان » قبل ذلك ١٨٢٠م كانت تمثل المواجهة للغزو الغربى لعالم الإسلام .

وكان الإمام « محمد بن عبد الوهاب » (١٧٤٠ م) قد أعلن دعوته إلى تحرير العقيدة الإسلامية من مفاهيم الجبرية الصوفية كمنطلق حقيقى لتحرير المسلمين من النفوذ الأجنبى .

وتوالى الدعوات فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى للخروج من الأزمة ، غير أن النفوذ الأجنبى كان قد أحكم نفوذه فى البلاد ، وطالت المعركة التى لم تكن فى يوم من الأيام تمثل استسلاما للاحتواء أو الانصهار فى بوتقة الغرب ، غير أن قدرة النفوذ الأجنبى فى البلاد التى احتلها أدت إلى تغيير ثلاث معالم أساسية فى

المجتمعات هي : التعليم ، الاقتصاد ، القانون وكان لهذا التغيير الأثر في تشكيل الأجيال الجديدة التي تقبلت الحضارة الغربية ، وجهلت جوهر الإسلام الحقيقي •

وكان أخطر ما هنالك تلك الدعوة التي انطلقت من معسكر الموالين للنفوذ الأجنبي وهي أن تقليد نظام الغرب هو الوسيلة الوحيدة للتحرر من هذا النفوذ • وقد كذبت الأحداث هذه الدعوى التي لم تحقق إلا مزيدا من الاحتواء والتبعية •

ولقد كان الظن أن الغرب وقد استيقظ عندما أخذ بالمنهج التجريبي الإسلامي ونقل مذهب « مالك » وأقام فكره الجديد عليهما ، أنه ربما يكون أخذنا بالفكر الغربي ليس إلا بمثابة استرداد بضاعتنا ، هكذا فهم « رفاة الطهطاوي » في مصر و « خير الدين التونسي » في تونس عندما زارا الغرب أوائل القرن التاسع عشر وأعجبا بالحضارة ، ولكن المسألة لم تكن بهذه البساطة ، فإن الغرب قد صاغ كل ما أخذه من الإسلام سواء في مجال العلوم التجريبية أو الاجتماع والاقتصاد والقانون ، قد صاغه في بوتقته اليونانية الرومانية المسيحية القديمة ، واستفاد منه دون أن تتغير ذاتيته الخاصة ، ولكننا نحن مع الأسف عندما أخذنا من الغرب تحولنا عن طابعنا المتميز وكدنا نفقد ذاتيتنا ، وذلك نتيجة الانبهار بحضارة الغرب وقبول التبعية •

التحول :

لم يستسلم المسلمون أمام النفوذ الأجنبي وقاوموه ، غير أن الغزو الفكري الذي حاول السيطرة على القانون والتعليم والاقتصاد كان عميق الأثر في تعويق المسيرة نحو الخروج من الأزمة ، فقد مضى وقت طويل حتى عرف المسلمون أن النهوض في الأمم لا يكون

بمناهج وافدة من أمم أخرى ، ولا من الأمم المسيطرة أساسا ، ولقد كان للمسلمين تاريخ طويل في مواجهة الأزمات ومحاولات الاحتواء قوامها (العودة إلى المناهج) واستلھام منهج الإسلام نفسه القادر على إخراجهم من المواقف الحرجة .

فكان اصطناع أسلوب الغرب في مواجهة الأمور — على مقاييس تختلف عن مقاييس الإسلام ونواميسه التي رسمها في بناء الحضارات والأمم ثم قيامها مرة أخرى إذا عادت إلى منهج الله — سببا في استمرار أزمة التخلف ولقد كان النفوذ الأجنبي قادرا على تحقيق هدفين أساسيين حالا دون الخروج من الأزمة بعد ذلك :

أولا : القضاء على الوحدة الإسلامية الفكرية وذلك بإثارة الخلافات الخاصة بالقوميات أولا ثم إثارة الخلافات المذهبية وإحياء الفرق القديمة .

ثانيا : فرض مناهج فكرية وأيدولوجيات تخالف مفهوم الإسلام في قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية .

كل هذا عوق المسيرة إلى الخروج من الأزمة ، وأطال أمد الاحتواء ، غير أن التجارب التي قامت على اعتناق هذه المذاهب والأيدولوجيات كلها أثبتت عجزها عن العطاء الحقيقي للأشواق النفس المسلمة التي تشكلت خلال أربعة عشر قرنا على منهج القرآن .

كذلك فقد طرح الاستشراق شبهات كثيرة بهدف تزييف مفهوم الاسلام الأصيل ، والقضاء على مفهومه الجامع للعلاقتين بين الله والإنسان والمجتمع .

ولقد كانت التجربة التى مر بها العالم الإسلامى فى بعض
بلاده لتطبيق منهج الغرب ، وفشل هذه التجربة قد فتح الطريق
أمام حقيقة أساسية : هى أن الأمم لا تستطيع أن تدخل مرحلة
النهضة إلا من خلال منهجها الأصيل الذى تشكلت عليه .

ولما كانت الأمة الإسلامية قد تشكلت على منهج جامع بين
العقل والقلب ، والروح والمادة ، والعلم والدين ، والدنيا والآخرة
فإنها لن تستطيع أن تحقق ذاتها وتبنى كيانها إلا من خلال منهجها ،
ولا يستطيع أى منهج وافد أن يحقق لها هذه الغاية ، من حيث اعتماد
مناهج الغرب على النظرة المادية ، وخلوها من البعد الإلهى فى بناء
الحضارة والبعد الأخلاقى فى حركة المجتمع .

الغاية :

مرت حركة اليقظة الإسلامية بمراحل مختلفة :

المرحلة الأولى : هى الدعوة إلى تحرير العقيدة من قيد التقليد .

المرحلة الثانية : هى الدعوة على المحافظة على الذاتية
الإسلامية من الاحتواء .

المرحلة الثالثة : هى التحرر من التبعية للمناهج الوافدة .

وقد كان تصحيح النظرة إلى الحضارة الغربية هى المنطلق
الحقيقى للخروج من دائرة التخلف ، فالمسلمون يؤمنون بأن لهم
« أسلوب عيش » خاص بهم يختلف عن أسلوب عيش الغرب ،
ويؤمنون بأن الثقافة قومية ، والمعرفة عالمية ، وأن أدوات الحضارة
هى أدوات صماء يمكن شغلها بوجهة النظر الخاصة بالأمة ، فليس
قبول أدوات الحضارة يعنى بالضرورة القبول بثقافات الأمم التى

صنعتها ، والمسلمون ينظرون إلى الفكر العالمى والإنسانى نظرة متفتحة ، فهم يدرسون تجارب الأمم ، ويستفيدون منها ، ويقبلون التنظيمات ولا يقبلون النظم ، وكل ما ينقلونه إلى دائرة فكرهم يكون بمثابة « مواد خام » يشكلونها على النحو الذى يتلاءم مع فهم فكرهم ،

والنظرة الإسلامية قائمة أساسا على التوحيد والإخاء البشرى والرحمة ، ولهذا فإن منهجهم وعقيدتهم ربانية المصدر ، انسانية الهدف ، عالمية الغاية ، ولقد أعطاهم الإسلام منهج المعرفة (ذى الجناحين) الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، ويفهمون مسئولية الإنسان فى الحياة فمها واسعا ، قوامه السعى فى الأرض وتعميرها ، من خلال المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والإيمان بالبعث والجزاء الأخرى .

هذه النظرة تجعل المنهج الإسلامى أشد رحابة وسعة وسماحة من المنهج الوافدة ، وفى الإسلام تتكامل النظرة بين القيم ولا تفترق ، ومن هنا فإن حاجة المسلمين إلى الحضارة المعاصرة هى حاجته إلى العلم والتكنولوجيا ، حتى تتمكن الحضارة الإسلامية التى قدمت للبشرية المنهج التجريبي من استئناف العطاء ، ويستطيع الإسلام اليوم أن يخرج البشرية من أزمتها ويحررها من عبوديتها المادية ، ولما كانت الحضارة الغربية قد وصلت إلى مرحلة المحاق ، وعجزت عن العطاء ، وطالب العالم كله بنظام جديد فإن الإسلام هو النظام الوحيد القادر على إسعاد البشرية ، ويشهد بذلك عشرات من مفكرى الغرب أنفسهم .

ولا خوف من نماء الفكرة الإسلامية وتوسعها فذلك هو المنطلق الحقيقى لمنهج استطاع أن يسعد البشرية ألف عام ، ولم يكن تخلفه

أو قصوره إلا نتيجة سنن الحضارات والمجتمعات نفسها في التحول ،
وقد تبين اليوم للمسلمين أن « العودة الى المنابع » هي المنطلق
الحقيقى لتحررهم من التبعية لمذاهب الغرب بشقيه •

فإذا كانت الحضارة المعاصرة تتقدم الى طريق مسدود وتواجه
نفس الظروف التى انتهت إليها الحضارات الرومانية واليونانية
والفارسية والفرعونية القديمة وهى الانبهار (نتيجة الاستعلاء
بالعنصر واستعباد الفرد وتجاوز حدود الله) • فإن البديل الوحيد
الحقيقى هو الإسلام القادر على العطاء •

ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول إن مرحلة تخلف المسلمين
تتطوى حثيثا ، وتترك من ورائها قاعدة أساسية لقيام المجتمع
الربانى الذى تتطلع إليه البشرية •• وقد جاء موعده •

إعادة كتابة العلوم ودوائر المعارف

اعتقد أن الصحوة الإسلامية قد أخذت تدخل مرحلة جديدة يمكن أن يطلق عليها مرحلة تحرير المفاهيم من المصادر الوثنية والمادية والعلمانية ، ويبدو هذا واضحا من اهتزاز محاولات احتواء الفكر الإسلامى بعد أن ضربت التيارات الثلاثة : العلمانية والماركسية والقومية ، وتعرية أهداف الاستشراق ، وانكشف الدور الخطير الذى تقوم به خطة التغريب والغزو الثقافى فى مجال الصحافة والثقافة ومناهج الدراسة فى الجامعات والمعاهد ، وخاصة بالنسبة لما أطلق عليه (علوم) النفس والأخلاق والاجتماع ، وهى فى حقيقتها ليست إلا فرضيات قدمها علماء غربيون فى مواجهة تحديات مجتمهم ، ثم نقلت إلى أفق العالم الإسلامى فلم تجد قبولا ولم ينتج غراسها •

ويترجم اليوم الفكر الإسلامى بأصالته مفاهيم الفكر الوافد فى كل مكان ، وتتساقط الأسماء المغرية كأوراق الخريف بعد أن تكشفت هويتها ، ولم يعد يصدقها أحد فيما تقول أو يثق فيما تعرضه ، هذا بالرغم من ضعف وسائل حركة الصحوة الإسلامية وصحفها المتواضعة ، وتساعد منابر التغريب وتوسعها وقدرتها على حجب الحقيقة وتجاهل رأى المخالف ، وحماية كيائها من النقد أو المساجلة بغية إظهار الحق ، وظهور ذلك القدر من اللجاجة والمناورة والخداع على ألسنة أصحاب الباطل للدفاع عن موقفهم المنهار •

إن قوى الغزو الثقافى والتغريب التى تمكنت فى الصحافة والجامعة ومؤسسات الثقافة والفن والمسرح وأدوات التسلية والترفيه ما تزال قادرة على أن تبث سمومها على أوسع نطاق ، ولكن الأصالة التى أخذت تتمكن فى النفس المسلمة وتعمق ، لم يعد

يخدعها بريق الحضارة بترفها وكشفها وحوار مسرحياتها النازل والمفاهيم المسمومة التي تجرى على ألسنة أبطالها . لقد اتسع الوعي الثقافي الإسلامى ووضح ، بعد مراجعته لنظريات (دارون وفرويد وماركس وسارتر) ، واقتناعه بأن النظرة المادية إلى التاريخ والتراث ليست أصيلة ، وأن الإسلام له علم اجتماع وعلم نفس ، ونظرية في الأدب ومنهج في الاقتصاد ، وأسلوب في التربية يختلف اختلافا واضحا عن أسلوب الغرب الوافد سواء كان ماركسيا أو صهيونيا أم غربيا ماديا .

لقد وضح الآن أن هناك نظرية في العلوم تستمد منهجها من الدين وان أخفت ذلك ، ومصدرها العقائد القديمة والموروثات والأساطير القديمة التي تجمعت هنا وهناك ، وأن ما يدعى المنهج العلمى الغربى في البحث ليس في الحقيقة إلا المنهج الإسلامى الذى حرف ودخلت إليه مفاهيم النحل والملل ، فصار هناك علم نفس مسيحي ، وعلم نفس يهودى ، وكذلك الأمر في العلوم الإنسانية التي اعتمدت نظريات الخطيئة الأولى ، ونظرية عبادة الجسد ، ونظرية حيوانية الإنسان ونظرية الصدور عن الجنس أو المعدة في وجهة الحياة (على النحو الذى نراه في فرويد وماركس) وهذه كلها تختلف مع الإسلام تماما ، سواء في نظريته العامة كمنهج جامع يحمل طابعى الروح والمادة ، والسماء والأرض ، والدنيا والآخرة أو في مفاهيمه الخاصة حول رسالة الإنسان في الحياة ونظرته إلى الكون وقوانينه في قيام الأمم والحضارات وسقوطها .

واعتقدت بعد أن أسقطت الصحة الإسلامية (التيارات الثلاثة : القومى العلمانى والماركسى) وكشفت عن أنها انشطارية ، وأنها لا تمثل جوهر النفس الإسلامية ، أن الطريق قد انفتح تماما أمام الحقيقة الربانية المصدر الإنسانية الجوهر التي قدمها الإسلام

والتي غفل عنها الناس خلال الأجيال حتى أوفت الحضارة الغربية المادية تجربتها الضخمة وتبين لأهلها أولا فساد هذه التجربة التي انحرفت عن منهج الله ، والتي جرت شوطا طويلا ضد التيار وتجاهلت خالقها ، وأنكرت وجهته ، وغفلت عن البعد الأخلاقي للمجتمع والبعد الرباني للحضارة ، وكان من الضروري أن ترتطم بقانون الله في الكون والحياة والأمم ، إن الأمم التي عنت عن أمر ربها وخالفت قواميسه ستسقط حتما ، وهذه علامات الغروب واضحة في كل تصرفات هذه الحضارة ولا بديل عن طلوع الفجر في موعده .

إن الإرهابيات بعصر (خلافة على منهج النبوة) الذي بشر به الرسول الأمين تتعدد . هذه الصين (ألف مليون) تعلن سقوط مذهب « ماركس » وعجزه عن العطاء بعد تجربة خمسين عاما ، هذه نظرية « دارون » عن التطور المطلق تواجه بالحفريات التي تثبت أن الإنسان منذ وجد وقامته قائمة ، وأن عنصره كان مستقلا عن العناصر المختلفة ، هذه الدلائل التي كشفت زيف دعوى تحرير المرأة وأنها كانت مؤامرة عليها ، واليوم تعود المرأة إلى مفهوم الإسلام ، المسلمون يعودون إلى الأصالة من خلال منهج التربية والشرعية والاقتصاد ويحاولون أن يسدوا النقص الثقافي في مناهج التعليم .

وها نحن والاستشراق يتراجع ويحاول أن يقدم دائرة معارف إسلامية جديدة يخفف فيها حملات دائرة المعارف القديمة ويستكتب لها بعض العرب بدلا من متعصبى الاستشراق ، من تلاميذهم وأتباعهم ، ولكن ذلك لن يكسبهم ما فقدوه من ثقة الناس بهم إن حملات « جولدسيهر » و « شاخت » على الشريعة الإسلامية ، و « مرجليوث » و « لامنس » على ياربخ الإسلام والرسول لا تنسى لقد عادت الكنيسة الكاثوليكية لتعترف بخطئها مع (جاليلو) الذي تأكد له صدق النظرية الإسلامية من أن الأرض تدور حول

الشمس ، مخالفًا بذلك الاعتقاد الشائع بأن الأرض هي مركز الكون ،
وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض •

لقد كانت فكرة التغريب هي (احتواء الإسلام — عقيدة وفكرًا
وتاريخاً) داخل دائرة المفهوم الغربى ، وتفسير الإسلام بمفاهيم
الثقافة الغربية المسيحية الرومانية اليونانية التي تسود واجهة
الحضارة والفكر الغربى منذ أخذ الغربيون علوم الإسلام وخاصة
التجريب وقانون بقاء الأمم وسقوطها وقانون المعرفة ذات الجناحين
هذه هي المحاولة الخطيرة التي استمرت الآن ثلاثة قرون أو أكثر
وتشكلت لها أجهزة ومؤسسات : أهمها التبشير والاشتراق •

كانت. الفكرة هي حرب الكلمة ، وكان الهدف هو تأويل الإسلام
تأويلاً مسيحياً غربياً مادياً لإخراج الإسلام من جوهره الأصيل
ومفهومه الجامع بوصفه حامل لواء التوحيد الخالص (إسلام الوجه
لله تبارك وتعالى) وإقامة المجتمع الربانى على الأيدلوجية (المنظومة
التي قدمها القرآن كاملة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع
والتربية) •

كان الهدف تحطيم هذه القاعدة وإبقاء الإسلام (ديناً لاهوتياً)
(عبادة وصلاة) أما الجانب الاجتماعى فى بناء المجتمع فقد دعانا
الغرب إلى اقتباس منهجه وأسلوبه وأيدلوجيته ، ونقل المسلمون
هذه الأنظمة وثبت فشلها ، ثم جاءت الدعوة إلى الماركسية تحت
اسم الاشتراكية ، ونقل المسلمون مضامينها ، وفشلت هي الأخرى ،
فشلت التجربة الغربية فى أن تعطى النفس المسلمة أشواقها
ومطامحها ، ذلك لأن المسلمين كانوا قد سبقوا هذه المذاهب
(المسماة (بالاشتراكية — العدل) و (بالديمقراطية — الشورى)
تضليلاً) منذ أربعة عشر قرناً حين حملوا إلى البشرية منهج الله

الجامع الذى يستحيل أن يعتوره النقص أو يدخل إليه التحريف أو يتأثر من متغيرات البيئات وتقلبات العصور ، فيحتاج إلى الإضافة والحذف على النحو الذى جرى للديمقراطية والاشتراكية .

وما كان للمسلمين إذا وعوا (منظومتهم الجامعة) أن يقبلوا ما هو أقل منها ، صراع الطبقات أو استعلاء أصحاب رءوس الأموال ، أو حرية غير منضبطة أو إعلاء للجنس أو المعدة .

ومن هنا فقد كانت أولى مراحل حركة اليقظة :

أولا : تأصيل القيم وتحرير المفاهيم وإعادة روح الإسلام الى المصطلحات المتداولة ، وإبراز مفهوم الإسلام فى عشرات القضايا المطروحة على الساحة : سياسية واجتماعية واقتصادية .

ثانيا : الكشف عن دور الإسلام البناء فى إقامة دعائم الفكر الإنسانى والعالمى المعاصر من حيث عطائه فى مجال المنهج التجريبي (أساس الحضارة المعاصرة) ومنهج المعرفة ومناهج التاريخ والاجتماع وقانون الحضارات .

ويمكن الآن أن نقول إن مؤامرة التغريب قد أصيبت بشرخ كبير ، ولذلك فإننا فى مرحلة تحتاج إلى صمود متصل وثبات فى مواجهة المؤامرات الجديدة ، التى تحاول أن تلبس ثوبا يكسب رضا الذين لا يحيطون بأبعاد المخطط ، وهو أن يستبدل كتاب التغريب الغربيون ، الذى تبين تعصبهم وحقدهم وفساد وجهتهم ، بكتاب عرب لهم ولاء يخفف من حدة الخصومة ، وذلك حتى يثنوننا عن إلغاء مراجعهم ، وربما استخدموا ألفاظ الصحة واليقظة ، وربما دعوا إلى مؤتمرات بهدف امتصاص طموح الراغبين فى الأصالة ، وكل هذه محاولات فاشلة يجب أن ننتبه إليها ، وأن نمضى قدما فى أن

ننشىء دائرة معارفنا الإسلامية الأصيلة ومراجعنا ، وأن ننحى تلك الدوائر المسمومة ولا نعترف بها ولا نعتمد عليها .

إنهم يطالبون بأن تسمى هذه الخطوة (إضافات) ولكن الحقيقة أنها إنشاء من البدء وتصحيح للأخطاء قامت على أساس (الفكرة المسبقة) فى مواجهة الإسلام والتشكيك فى قيمه .

لقد ثبت تماما أن دوائر المعارف التى كتبها المستشرقون والمبشرون ، وترجمت إلى اللغة العربية تحمل من السموم ما يفسد أى نص أو مادة من المواد ، حتى المواد التاريخية نفسها أصابها هذا الفساد ، فهذه أعمال يجب أن يستغنى عنها المسلمون تماما ، وأن تقوم مصادرهم الأصيلة بتقديم هذه المواد ، وألا يستعان بأى اسم من الأسماء الشعبوية أو التغريبية أو الماركسية فى إعداد هذا العمل ، ولنحذر من عملية أنصاف الحلول : تقديم قوانين ليست ذات مصدر إسلامى أو دوائر معارف تقوم فى مصدرها الأول على غير مفاهيم القرآن والسنة . إننا نقوم بذلك وفى تقديرنا مسئوليتنا أمام شباب أمتنا المسلم أولا ، الذى خدع طويلا بالمراجع الغربية (دائرة المعارف ، المنجد ، الموسوعة العربية الميسرة ، الموسوعة الإسلامية الميسرة) (أخيرا) ، ولنعلم أن المنهج العلمى الذى قامت عليه هذه الموسوعات زائف ومضلل وقائم على رأى المسبق بالخصومة والخلاف والتعصب ، وعلى الأقل فهو يقوم على تصور كتاب الموسوعة الذين يقتصر فهمهم على تراث اليهودية والمسيحية ، دون إمام — أقل إمام — بمفهوم الإسلام أو لغته أو قرآنه أو تاريخه إماما صحيحا ، أما مسلمو الغرب وأوربا فهم آخر من ينتظر منهم أن يعتمدوا على دوائر المعارف الإسلامية الغربية وهم يعلمون فسادها وتزويرها .

لماذا لا يكون الأدب العربى المعاصر عالميا

يتساءل الكثيرون عن سر ضعف الأدب العربى المعاصر وتخلفه وعجزه عن التجاوب مع مجتمعه ، والسر فى عجزه عن أن يكون عالميا ، وفى الإجابة عن ذلك نقدم هذه الملاحظات :

أولا : أن الأدب العربى فى هذه المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعى بوصفه « وحدة » من وحدات الفكر الإسلامى بما دخل عليه من مفاهيم وقيم وافدة من ناحية المضمون وبما اصطنع من أساليب غريبة من ناحية الأداء .

ولذلك فإن الإنتاج الأدبى القائم الآن بين أيدينا لا يمثل حقيقة المشاعر النفسية والاجتماعية للمجتمع ، كما أن أسلوب أدائه غريب على الأدب العربى لأنه يخضع للنظرية المادية التى وضعها (برونيتيرو ، تين ، سانت بيف) استمدادا من نظرية التفسير المادى للتاريخ والفلسفة المادية التى تعتبر الإنسان حيوانا سواء من ناحية الطعام (الماركسية) أو من ناحية الجنس (الفرويدية) .

ثانيا : أن مترجمات الأدب العربى إلى الآداب الأوربية التى تمت فى العقدين الأخيرين لا تمثل حقيقة الأدب العربى ولا أشواق النفس العربية الحقيقية ، لأن هناك تحيزا فى الانتقاء والاختيار تحت عنوان (بضاعتنا ردت إلينا) فإن هوى المترجمين هو أن يثبتوا أن الأدب العربى قد خضع تماما للمفاهيم الغربية وللأساليب الغربية أيضا .

ثالثا : أن المصطلحات التى تستعمل الآن فى الأدب العربى دخيلة عليه وغريبة عنه ، فهو يحاول أن يخضع لأطوار الأدب الغربى

التي تنتقل بين الكلاسيكية والرومانتيكية ، ومن السريالية إلى الوجودية ، وهو الآن يحاول أن يقف في خضوع أمام النظرية الجديدة الطاغية عليه وهي البنائية أو البنيوية ، كما أن الأدباء خضعوا لمسميات كثيرة (كعصر التنوير) وحاولوا أن يطبقوه على الأدب العربي ، بينما يمثل عصر التنوير هذا في أوربا : العصر الذي سيطرت فيه التحولات التلمودية التي عملت على هدم صروح المدرسة المسيحية المثالية من أجل إقامة مفاهيم الإلحاد التي قادها (فولتير وروسو وأصحاب الموسوعة) وكان ذلك مقدمة لإشعال الثورة الفرنسية التي حطمت قواعد الوحدة المسيحية « الغربية » ، وفتحت لليهودية والصهيونية الطريق إلى السيطرة على المجتمع الغربي وتحطيم النظرية الجامعة بين الدين والقومية بتغليب الجنسية وإسقاط مفهوم الدين .

رابعاً : مفهومنا الأصل للأدب العربي أنه وحدة من وحدات الفكر الإسلامي يقوم على قيم الإسلام العليا : التوحيد ، والأخلاق ، والعدل ، والإخاء الإنساني ، وهي القيم التي قام عليها مفهوم الأدب العربي بعد الإسلام ، ثم انحرف عنها بعد دخول الوثنيات المجوسية والفارسية ، فالأداء العربي الآن يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربي الممتد خلال العصور ، والذي وصل على أيدي (البارودي وشوقي والمنفلوطي والزيات والرافعي) إلى قمة عالية ، فهو الآن ينحدر إلى لغة الصحافة أو ما يسمى باللغة الوسطى .

كذلك فإن الشعر ينحرف الآن إلى قصيدة النثر والشعر الحر ، ويتدلى إلى مفاهيم مكشوفة ، وأداء عربي رديء .

أما القصة فإنها تقوم على تصورات غربية مقتبسة من الآداب

الغربية ولا تمثل النفس العربية المسلمة أبداً ، وهى تحاول أن تصور الانحراف والفساد والتحلل والكشف على أنها علاقات طبيعية فى المجتمع حتى يعتقد الشباب شرعية وجود هذه الظاهرة والاندفاع نحوها ، وهو ما يجرى عليه أغلب كتاب القصة ، الذين يصدرون أساساً عن مفهوم علمانى لا يؤمن بقيم الدين الحق ، وثنى يعلى من من نظرية عبادة الأجساد ، ماذى لا يقر بوجود المسؤولية الفردية ولا الأخلاقية ولا الجزاء الأخرى ، هذا النتاج كله باسم الأدب العربى بوصفه فرعاً من فروع الفكر الإسلامى ، وإنما يمثل انحرافاً طرأ على الأدب العربى بدخول المذاهب الوافدة عليه وعلى المجتمع أيضاً ، ومن هنا فإن هذا الأدب القائم يتمثل فى منبعه وأصله سواء من ناحية الأداء أو المضمون ، أو من ناحية تاريخ الأدب أو النقد الأدبى .

وأخطر ما هنا لك هو تقبل النظرية المسمومة التى تقول بأن الأدب العربى له استقلاله عن الفكر الإسلامى ، وله حريته فى مجال الأداء دون اعتبار للمسؤولية الأخلاقية والحدود والضوابط التى قررها الإسلام للمجتمع وهذه أخطر السهام المسمومة التى أصابت الأدب العربى اليوم فضلاً عن تبعيته فى مصطلحات العصور والعناصر .

سادساً : أما أن الأدب العربى جدير بأن يكون عالمياً فذلك أمر لا سبيل إلى إنكاره ، فهو بطبيعته التى يستمدّها من الإسلام يمثل المشاعر النفسية السامحة المستعلية على الخطيئة والجريمة والإباحة ، كما يمثل التسامى من الأنانية إلى الغيرية ، ومن الفردية إلى الجماعية والتى لا نفقد معنوياتها فى سبيل رسالة التقدم المادية وحدها ، هذا الأدب الذى يصور النفس المؤمنة بالله ، المتصلة به ، والمندفعة فى سبيل السعى والكسب والعمران لتحقيق المجتمع

الربانى ، جديرة بأن يكون إنتاجها الأدبى عالميا ، لأنه انسانى بطبعه
وخليق بأن يصل إلى كل النفوس المشوقة إلى الإيمان والعدل
والإخاء ، ولكن هذه الرحلة من الأدب العربى لم تبدأ بعد ، ونرجو
ألا تتأخر كثيرا .

سابعاً : كذلك فإن الفكر الإسلامى اليوم هو القادر على تقديم
رسالته الإنسانية إلى العالمين ، لأنه قد تحرر من التبعية وانطلق إلى
آفاق العدل والرحمة والإخاء الحقيقى .

ولقد كان الفكر الإسلامى فى إبان الأزمات التى لحقت بالمسلمين
قادراً على العطاء أكثر من الأدب الغربى ، الذى مازال غارقاً
فى أوهام الاحتواء والتبعية ، والذى لم يستطع بعد أن يكتشف
الأخطار والتحديات التى تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار
الذى تفرضه القوى الاستعمارية ، وخاصة خطر التحدى الصهيونى
المتنامى .

إن قدرة الأدب العربى على الدخول فى مجال العالمية لا تكون
بالتبعية للمذاهب الغربية ، وإنما تكون بالتماسه مفهوم الإسلام ،
واليوم وقد برزت مدرسة الأدب الإسلامى وقدمت منهجه ووضحت
رسالته فإن على الأدب العربى أن يخرج من دائرة الاحتواء الغربى
المسيحى واليهودى والماركسى ، ويدخل فى دائرة الأصالة
الإسلامية .

المؤامرة على معطيات الأصالة

إن هؤلاء الكتاب الغربيين الذين ينقمون على المؤمنين إيمانهم ، إن في قلوبهم إلا كبر ما هم بباليغيه ، فهم ينزعجون حين يرون الصحو الإسلامية تنمو وتمتد لأنها دعوة الحق التي ستقضى على باطلهم ، الذي ظلوا يروجون له تحت اسم العصرية والحدثة والتقدم واليسار ، فهم يدعون أنهم يفهمون الإسلام وأنهم قادرون على النظر فيه وتقديم الرأي في مسأله وقضاياه ، وقد جهلوا أمرين :

الأول أنهم نشأوا في أحضان العلمانية ومفاهيم الغرب التي تتحدث عن الخلاف بين الدين والعلم وبين صراع مفاهيم قديمة ومواريث مختلطة وبين مفهوم النظرية المادية ، وينقلون إلى جو الفكر الإسلامى هذه القضايا وهذا الصراع ، وهم يؤمنون أنه باطل وزائف ، ولكن وظيفتهم إثارة الشبهات في النفوس ، وخلق روح التشكيك والسخرية بكل القيم الصحيحة ، على هذا مضى شيخهم القديم وشيخهم الجديد .

الثانى : أن هؤلاء الكتاب مكشوفون تماما للرأى العام الإسلامى ، ومعروفة هويتهم وغايتهم ، وتبعيتهم ، والجهات التي يخضعون لها ويتكلمون باسمها ، وهم ساقطون تماما في نظر الأجيال الجديدة الواعية التي لا يستطيع أن يخدعها أحد ، مهما نشرت لهم الصفحات العريضة في الصحف الكبرى . وممها اقتحموا مجالا ليسوا بقادرين على عبوره لأنهم لا يملكون من أدواته إلا فهماً استشراقياً تبشيراً للإسلام ، ليس هو الإسلام الصحيح ولكنه المفهوم الزائف الذي حاول أن يفرضه التغريب على هذه الأمة ،

وآية ذلك فساد فهمهم للمصطلحات ، فهم يتحدثون عن الدين وعن التراث وعن الماضي وعن القديم ، فما هو الدين الذين يتحدثون عنه ؟ ، من القطع أنه ليس الإسلام ، لأن كلمة الدين عندهم تعنى كلمة اللاهوت والعبادة ، وهى تقتصر على مفهوم زائف هو أن الدين عبارة عن صلاة وصوم ومسجد ، وليس الإسلام كذلك فى الحقيقة الإسلام علاقة جامعة بين الله والإنسان دين الإنسان والمجتمع ، فإذا كانوا يرون أن الدين الذى فهموه فى الغرب يتطور فليس كذلك الإسلام ، وإن كانوا يرون أن الدين الذى عرفوه فى الغرب لا يستطيع أن يمثل إلا عصره ، فليس كذلك الإسلام ، وإن كانوا يرون أن العلم قادر ، على أن يدخل على الدين تعديلا يتفق مع العصر فليس كذلك الإسلام ، ومن هنا فإن فهم هذه اليقظة وحدها كفى بالفصل فى القضية التى يثيرونها .

إن هذا النظام الاجتماعى السياسى الاقتصادى الكامل الذى يقدمه الإسلام ليس شبيها بالأيدلوجيات الحديثة التى تخرقها المتغيرات وتختلف أوضاعها حسب العصور والبيئات ، فهذه الأيدلوجيات من عمل البشر ، فهى صناعة العقل ، وهى قاصرة لأنها ليست فى حقيقتها إلا تجارب قد تخطئ أو تصيب ، وفروضا قد تصح وقد تفشل ، وهى تقوم فى نظر صانعها على مواجهة تحديات عصر أو مجتمع ، فإذا جاءت لتحاول تغيير الأوضاع فإنها سرعان ما يصيبها العطب وتحتاج إلى الإضافة والحذف وليس كذلك الإسلام .

ألا فليعلم هؤلاء — ليريجوا أنفسهم — أن الجدار الإسلامى ضخم وصامد وقوى ، ومهما تدافعت معاولهم فإنها ستتحطم ، ومهما اندفعت سهامهم فإنها سترتد إلى صدورهم ، فالإسلام هو كلمة الله تبارك وتعالى التى لا تستطيع أن تقف فى وجهها كل هذه المحاولات والمؤامرات .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأثوابهم والله متم نوره » (١)

وممها حاولوا أن يلبسوا مسوح كتاب الإسلام ويصطنعوا شغارات الصحوه فإنهم كاذبون وخادعون ، وإنما يخدعون أنفسهم وما يشعرون .

إن حقائق الإسلام الأساسية قائمة لا يستطيع أن يجادل فيها أحد ، وإن الإسلام عقيدة و منهج حياة ، وهو منهج رباني المصدر ، إنساني الوجهة ، قادر على مواجهة متغيرات الحياة والمجتمعات والأمم إلى نهاية الشوط ، وأنه لم يعجز في الماضي ولن يعجز اليوم أو غدا عن تقديم إجابات صحيحة وحلول سليمة لكل معضلات الحضارة والمجتمع ، وقد قام منهج الاجتهاد فيه على هذه القدرة ، شريطة ألا يطالب بعض المغرورين بعلمهم والذين يخدمون قوى تريد أن تستبقى نفوذها وحصارها للأمة الإسلامية ، يطالبون بأن يستسلم الإسلام أمام فساد الحضارة وانحرافها فيقبل الربا أو يقبل انحراف المجتمع في شأن الخمر وبنات الليل وفساد وسائل التسلية وخروج المرأة عن مهمتها ومسئوليتها وضوابط العلاقات بين الآباء والأبناء وبين الرجل والمرأة ، فهذا كله لن يقبله المنهج الإسلامي ولن يقره ولن يبرره مهما طالب هؤلاء بما يسمونه (الاجتهاد في الأصول) .

إن هذه دعوة مسمومة لا يقرها الإسلام ولا يقبلها علماء المسلمين مهما دعا إليها بعض الطامعين في مرضاة الأمراء ، إن معنى الاجتهاد في الأصول هو الخروج عن الحدود الإسلامية الأساسية في الربا والخمر والزنا والميسر ، وهذه لن يقرها مسلم عاقل ، ولن يقبل الإسلام الذي جاء شريعة للعالمين ومنهجاً قائماً إلى يوم الدين

(١) سورة الصف الآية ٨ .

مثل هذه الدعاوى المسمومة بل ويطلب الإسلام المجتمعات أن تتحرر من فسادها وانحرافها وأن تعود إلى الله .

هذا هو الفرق بين مفاهيم العصرين في مهمة الدين القادر على التطور مع انحرافات الحضارة والمجتمعات ، هذا الدين بمفهومه البشرى الزائف ، أما الإسلام بمفهومه الجامع (ديننا ومنهج حياة) فإنه لن يقبل الاستجابة لانحراف الحضارة ممها وجد الغرب دعاة من جلدتنا يطالبون بذلك خدمة لبقاء نفوذ من يدعون لهم .

إن الإسلام فيما عدا حدوده وضوابطه التي تختلف عن أهواء التلمودية وعبادة العجل الذهبي ، فإنه مفتوح الأفق أمام قبول كل ما من شأنه أن يدفع المجتمعات إلى الرقى والازدهار ، ولكن دون أن يقر ما حرم الله .

ماذا يريد دعاة الاجتهاد في الأصول ؟ هل يريدون أن يهدروا نصا من نصوص القرآن أو السنة ؟ أو يخرجوا هذه الأمة عن عقيدتها القائمة على التوحيد الخالص ؟ أو يصهرها في بوتقة الأممية واتحاد الأديان ؟ ، على النحو الذي تدعو اليه القاديانية أو البهائية (وفق ما رسمته لهم الماسونية من قبل) هل نستطيع أن نقر هذا الأسلوب في الكسب الحرام الذي نراه يغشى مجتمعاتنا اليوم تحت اسم الاجتهاد في الأصول ؟ ، أو أن نقبل هذا التدمير لثروة المسلمين في أسواق النخاسة وموائد القمار تحت اسم ما ينفع الناس ؟ إن الذين يدعون إلى هذه المحاولات ظالمون لأنفسهم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، هم ومن يقبلون آراءهم ويروجونها لتصل إلى أكبر عدد ممكن في صدورهم الشبهات وتزلزل عقيدتهم ، وتدمر صلابتهم وتماسكهم في إطار الحلال وما أمر الله به .

إن محاولة استغلال نصوص في كتب الفقه والأصول ، على

نحو ما كتب « الباقلاني » « والشوكاني » و « الشاطبي » يجب أن تؤخذ بحذر شديد فهؤلاء كانوا يعيشون مجتمعا إسلاميا مطبقة فيه الشريعة تماما ، ويحاول المجتهدون إيجاد مخرج لبعض المسائل ، أما نحن الآن ، فالأمر يختلف لأننا نعيش على أطراف مثل هذا المجتمع وهامشه ، وحتى نعيش مجتمع الشريعة المطبقة فإن الأمر يحتاج إلى الحذر والتخوف من دعوات تحملها أقلام لها أهداف وأهواء ، فهؤلاء هم أولياء المستبدين والظلمة يحاولون أن يجدوا دورا جديدا لهم في هذا الموكب .

إن أخشى ما نخشاه على هذه الأمة هم بائعوا الفكر لكل من يطلبه وأصحاب الأقلام المستأجرة ، لكل من يرغب فيها ، وطلاب المناصب والتبريز في منابر الأحزاب والصحف ، هؤلاء الذين كلما حدثتهم عن قضية إسلامية قالوا لك إنها ظاهرة عالمية ، إذا حدثتهم عن الصحوة قالوا إن العالم كله يعود إلى الدين ، فليكن ولكن الصحوة تطالب بشيء آخر ، تطالب بالعودة إلى تطبيق منهج الله في بلاد ظلت تحكم بكتاب الله أربعة عشر قرنا حتى أخرجها منه أصحاب النفوذ الأجنبى وأعوانهم ، وإذا حدثتهم عن قضايا الشباب قالوا لك إن أزمة الشباب أزمة عالمية ، فليكن ، ولكن قضية الشباب في عالم الإسلام تختلف وليست داخله مطلقا تحت التعميم الكريه التي يحاوله دعاة النظريات الوافدة . كثيرون أولئك الذين يكتبون الآن باسم الإسلام ، أما الدخلاء فحسبنا الله منهم ، أما الأصلاء فإن أغلبهم يقصرون مفهومهم على القضايا العامة ولا يلتزمون بمنهج الإسلام في التطبيق ، سواء على أنفسهم أو بيوتهم أو من يتصلون بهم ، إننا نفقد كثيرا ذلك النموذج القدوة ، الذي بينى الأجيال الجديدة ، هؤلاء الذين لا يريدون إلا وجه الله ، وقد هانت عليهم مطاعم الحياة وزهدوا فيها .

إننا يجب أن نحرص على اليقظة في مواجهة محاولة احتواء الإسلام وحصاره من جميع الجهات ، هؤلاء الذين يدعون إلى ما يسمى الإسلام والغرب ، والحوار الإسلامي المسيحي ، والذين يدعون إلى وحدة الأديان ، والذين يزيفون التراث وتحاولون أن يسموا (القرآن والسنة) تراثا ، وقديما ، وماضيا ، وهو ليس كذلك إن القرآن والسنة لا يدخلون في مقولة التراث ، والذين يرتقون التاريخ الإسلامي ويجردونه من روحه الدافقة بالإيمان والبذل والتضحية وبيع الأنفس والأموال لله ، والذين يزيفون اللغة العربية ويهدمونها ويغلبون العاميات ، والذين يرجون للنظريات الزائفة المسمومة (البنيوية والحداثة) والذين يعالجون المشاكل الاجتماعية والنفسية من خلال برامج وكلمات لا تعترف أبداً بمفهوم الإسلام الذي هو المخرج الحقيقي من الأزمات النفسية والاجتماعية ، يتجاهلونه ويركزون على كتابات المتشككين في الأديان وفي الروح وفي المعنويات أمثال : ديوى ودوركايم ، إن هناك محاولة ضخمة لإلجهاز على تميز الشخصية الإسلامية يستخدم له بعض المسلمين ، دورا أم لم يدروا ، فهم لا تكفيهم التبعية التي يجرى المجتمع الإسلامي فيها إلى غاية مجهولة ، ولكنهم يريدون القضاء على الجذور : جذور هذه الأمة وتسميم آبار الصحة الإسلامية حتى لا يعود للمسلمين وحدتهم الفكرية ولا تكاملهم الجامع .

إن محاولة تجميع مفهوم الإسلام وصهره مع الأديان في بوتقة واحدة من أخطر المحاولات التي تتردد هذه الأيام إن الغرب يعرف تماما أن نهضة المسلمين لا تبدأ إلا من نقطة إنشاء المجتمع الإسلامي على شريعة الله ، ولذلك فهو يقاتل في سبيل عدم تمكينه من ذلك . إن اعتماد حلول الغرب للمشكلات لن يصل بنا إلا إلى الفشل والهزيمة والتبعية ، ان لنا مقاييس أساسية يدخل المفهوم المعنوي والروحي ، والإيمان والتضحية والبذل والغيرة والإحسان في جذورها ، لقد فشلت العلمانية والقومية والاشتراكية ، مهما جرت المحاولة لإعادة أحدها فهي مرفوضة من الوجدان الإسلامي العميق الجذور بالوحدة الإسلامية .

المؤامرة على معطيات الصحوة الإسلامية

في مواجهة الصحوة الإسلامية تتحرك قوى كثيرة اليوم لتعوق هذه المسيرة ، أو تدفعها إلى متاهات ضالة أو دروب مسدودة ، ويزعمون أن الإسلام يعود إلى مفهومه الصحيح في بلاده بعد أن حرفت مؤامرة التغريب أكثر من قرن ونصف قرن ، وإذا كانوا يشوهون الإسلام فإنهم يقصدون من ذلك أن يرفضه أهله ، وأن لا يصل إلى طلاب الحق في كل أمة وكل دين وكل عصر ، ومع ذلك فإن أهل الغرب قد فهموا حقيقة الإسلام من خلال الكتب التي هاجمته وزيفته ، فهم الآن بين أمرين أحدهما مر ، ولذلك فإن مهمتهم أصبحت خطيرة ، ومن ثم يقتحمون الآفاق من جديد لإثارة الشبهات والشكوك في الحقائق التي تنفق العيون ، هذه الظاهرة الجديدة : الإعجاز الطبى في القرآن ومن قبلها الإعجاز الفلكى والكوكبى ، ومن قبلها انكشاف فساد وجهة الحضارة وهزيمتها على أيدي المنظرين الغربيين أنفسهم لافتقادها البعد الربانى والبعد الأخلاقى ، وما يقدمه عالم خطير مثل « جارودى » الذى يتحدث عن عجز الحضارة العالمية عن العطاء بعد التصدع الذى أصابها ، وما قسام به « بوكاي » من فتح أبواب الكشف عن زيف الكتب القديمة وانحرافها ، وما يستطيع الإسلام أن يقدمه للقلوب العاطشة والنفوس المتطلعة ، وما استطاع من قدرة على اقتحام الوجدان الغربى .

كل هذا يدفعهم بقوة إلى قطع الطريق على تطبيق الشريعة والحيلولة دون تمكين الأمم من تحقيق إرادتها والعمل على تشويه النصوص بأيدي مسلمين جغرافيين ، يرون في عطاء الدنيا القليل المشوب

بالجرام دافعا إلى مقبوضة تصحيح المفاهيم المحرفة للفكر الاستشراقى ، والهجوم على السنة النبوية والحديث النبوى ، وتشويه التاريخ الإسلامى وتزيف الاستشهاد به للوصول إلى هدف التشكيك فى صلاحية الشريعة للتطبيق .

هذا فضلا عن الدعوة إلى القضاء على تميز الإسلام والقضاء على ذاتيته الخاصة بالدعوة إلى وحدة الأديان ، فضلا عن الدعوة إلى إحياء المذاهب الهدامة والفرق الضالة وإحياء دعوات جديدة كالنبوة الجديدة والبهائية والقاديانية .

كل هذه الحملة المسعورة المشبوبة اليوم بأيدى كتاب لهم أسماء عربية وينتسبون إلى الإسلام تكشف عن مدى الزلزال الذى يضرب معقل التغريب ، كما يكشف فى نفس الوقت عن هذا الولاء الخطير الذى يدفع بعض أهلنا إلى محاربة قيم أمتهم ، ومجدها ، من أجل القليل الزائل ، الذى يتسلط على النفوس تحت أسماء الأيديولوجيات والمذاهب البشرية ، والذى يحمل الأهواء المضلة المذلة .

وما يجد هؤلاء من جديد يثيرون به الشبهات فى نفوس مثقفى المسلمين ، فما من شبهة من هذه الشبهات إلا طرحت من قبل عن طريق المستشرقين والمبشرين ، ودحضها الأبرار من الدعاة والمصلحين وما من دعوى مدعاة اليوم إلا سبق إليها ذلك الرعيل من المغربين الذين وصفوا بعميد الأدب ، وأستاذ الجيل ، والعلامة المحقق ، حتى يجنى اليوم من يقول إن الإسلام ظاهرة اجتماعية نسجت فى الأفكار البشرية ، وأن الإسلام قد اقتحم خارج حدوده فى البحث فى الطبيعيات والكونيات وأن يثير الماديون شبهات حول ما يجهلونه من أمر الوحي والنبوة . ومن ذلك التكرار للإسلام فى مجاله

الاجتماعى والاقتصادى ، وإعلاء الفلسفة ودعوة الإسلام أن يخضع
للتنظير الفلسفى وأن يسير فى ركاب الفلسفة .

كل هذا يردده كاتب ظالم لنفسه ، يقتحم البحث اقتحاماً
كأنه يلقي آخر ما عنده من سموم فى وجه المسلمين ، وهو لا يدرى
مستوليته أمام الله وأمام التاريخ حين يضعه فى قائمة الزنادقة
والمحدين والضالين ، ولا ينفعه إزاء ذلك اسم لامع ولا صحيفة
كبرى ، ولا حماية هيئة ولا اعتناق مذهب ضال . إن طرح هذه
الأفكار على هذا النحو فى وجوه المسلمين وفى صحف مقروءة وبهذه
الجرأة ، يوحى باضطراب الأعصاب الذى أصاب المراسد التغريبية
لفشلها وانهار خططها ، وهذا التركيز على أن الإسلام يقتحم حدوده
— على حد قولهم — فى البحث فى الطبيعيات والكونيات سببه
الانزعاج الشديد الذى أحدثته كشوف الإعجاز العلمى فى القرآن ،
والتي أدخلت فى عامين متتالين وفى مؤتمرات متوالين رجلين من
كبار رجال العلم إلى آفاق التوحيد ، أحدهما البرفسور
« مورسون » الذى تجاهلت الصحافة العلمانية وقفته فى حفل
الختام ليعلن شهادة التوحيد ويدخل الإسلام فى مؤتمر القاهرة ،
وكذلك فعل الدكتور « تاجاتى باجسون » فى مؤتمر الرياض .

أزعج هذا دوائر التغريب والاستشراق ، فهذا هو الإسلام
يعود فيقتحم الوجدان الغربى بعد أن قصر عنه الفكر العلمانى
المادى بنظرياته وأيديولوجياته ، وبعد أن تكشفت حقائق كثيرة
أهمها : فساد النظرية التى قدمتها كتب عن الخلق والطبيعة
والكون ، وصدق القرآن فى عرض هذه الحقائق .

إن القاعدة التى ينطلق منها دعاة الفلسفة المادية التى
يضعونها فى درجة واحدة مع الإسلام ، وكبرت كلمة تخرج من

أفواههم ، هي قاعدة مغلوطة فليس الإسلام ديناً بشرياً على نحو ما درسوا في الغرب وفهموا من اللاهوت ، وهو شيء مختلف تماماً عن ما عرفوه عن هذا العلم ، سواء في أديان الشرق أو أديان الغرب أو القديم منها أو الجديد ، إنه الإسلام : ذلك المنهج الرباني الذي ظل نصه الموثق محفوظاً خلال أربعة عشر قرناً عن أن يعتوره الاضطراب بالإضافة أو الحذف ، وأنه وحده النص المقدس الوحيد الذي سلم من التغيير ، فهو منهج الله تبارك وتعالى إلى البشرية ختاماً للدين الذي جاء به أنبياء الله من لدن نوح إلى محمد ، وما قدمه هو ما أرسل الله تبارك وتعالى به أنبياءه ورسله ، فجاء الإسلام خاتماً لرسالة السماء ، وجاء محمد خاتماً المرسلين ، وجاء القرآن خاتماً للكتب ومهيماً عليها .

وليس الإسلام ظاهرة اجتماعية كما ادعى « دوركايم » اليهودي منذ قريب ، وتابعه فيها عميد التغريب ، وهو ليس كالفلسفة التي هي صنع عقول البشر ، وليس كالأيديولوجيات التي صدمتها المتغيرات فعجزت بالرغم من محاولتها تعديل مسارها ، وهو الإسلام الذي قدم للبشرية منهج الغيب (الميتافيزيقا) التي وصفها « زكي نجيب محمود » بأنها (خرافة) وما زال مصراً عليها ، تقابله الأسئلة في كل مكان يذهب إليه لتصك في وجهه وهو يدعى أنه يتحدث عن يقظة الإسلام ، وهل يستطيع من كتب (خرافة الميتافيزيقا) منذ أربعين عاماً وعاد مصراً فجدها ، أن يكون بشير خير لنهضة من ينكر أهم أسس عقيدتهم ؟ ، وهل يمكن أن يقللوا منه ؟

أين هي الفلسفة التي يدعون أن لها منهجاً يمكن أن يعطي بديلاً عن الدين ؟ الفلسفة الوثنية التي سماها اليونان (علم الأصنام) أم الفلسفة المثالية التي تشرك بالله ؟ ، أم الفلسفة

للمادية المعاصرة بفروعها التي تجعل من شهوتي المعدة والجنس منطلقا لمذهبيها الكبيرين ؟ وأين هي (المعرفة الإنسانية) التي قدمتها الفلسفة وهي مترددة بين تقديس العقل ، وعبادة الجسد ، وثورة الجنس ، والاستعلاء بالعنصر الأبيض ، أو إنكار الوجدان والغيب وغير المحسوس ؟ ، هذه الفلسفة التي لم تستطع أن تسلم للعلم التجريبي بقبول عالم ما بعد الطبيعة ، ومضت في صلفها وفسادها لإخضاع الدراسات الإنسانية لمفاهيم المادة والوثنيات !!

إن الذين يريدون أن يحاكموا الأمور على مفهوم أن الإسلام هو ظاهرة اجتماعية نسجتها الأطوار البشرية ، ظالمون لأنفسهم ، لأنهم يخدعون الناس أنفسهم ، فليس الإسلام شبيه بالأديان البشرية أو الأديان التي لم تقبل مفهوم التوحيد الخالص ، وإسلام الوجه لله والالتزام الأخلاقي والمسئولية الفردية والجزاء الأخروي ، ولذلك فإن ما يقال في أفق الغرب كله يتعلق به وبتجربته الدينية منذ هاجرت المسيحية من الشرق وحرفت في الغرب ، وخلطت بالوثنية اليونانية والعبودية الرومانية ، ومن هنا فإن موقف الإسلام من العلم يختلف تماما ، فإذا كان الدين في الغرب قد عارض العلم فإن الإسلام هو الذي أنشأ العلم في أفق المسلمين ، وهو الذي دعاهم إلى النظر في الكون ، وتقديم البرهان ، ومن هنا فإن مقولة القائل بأن الإسلام اقتحم خارج حدوده في البحث في الطبيعيات والكوثنيات ، هذه المقولة تخرس لها الألسنة ، لأن آفاق الطبيعة والكون في القرآن واضحة جليلة منذ أربعة عشر قرنا ، وما سجله القرآن عن هذه القضايا جميعها يتكشف اليوم يوما بعد يوم ، برحلات الفضاء وكشوف الأطباء في جسم الإنسان ، وفي مختلف أمور الخلق والكون والحياة فإذا كان صاحب الدعوى ماديا منكرًا للإسلام ، فهو منكر لأن القرآن من عند الله ، ومنكر للوحي ، وكل ما يقوله في هذا المجال باطل وزيف .

إن محاولة التفسير العلمى للقرآن تزعج هؤلاء وساداتهم
إزعاجا شديدا ، وإن الحديث عن الكتب القديمة عن طريق العلم
تروعهم روعا شديدا يرونها بابا واسعا قد فتح لدخول رجال العقل
فى الغرب إلى الإسلام بعد أن انتهى عصر (اتبعنى وأطفء مصباح
عقلك) ومن هنا جاءت الدعوة الى مطالبة الفقهاء أن يقطعوا الصلة
بين النصوص وبين معطيات العلم ليقف الدين عند حدوده اللاهوتية ،
هذا فهمهم ، ولكن القرآن يختلف ، وليس للإسلام حدود فهو يملك
النظرة الجامعة التى تجعل جميع عناصر الفكر والعلم أجزاء من
كيانه الإنسانى الشامل •

« شبابنا المسلم في وجه الإعمار »

كان السؤال عن الظواهر المختلفة التي توحى بأن هناك محاولة عالمية واسعة النطاق لحصار العالم الإسلامي وتطويقه حتى لا يتمكن من الانطلاق في طريق الصحوة الإسلامية ، والمتتبع للأحداث يجد منها مؤشرات خطيرة يجب التنبيه إليها وكشفها والتعريف بأخطارها ، حتى تبين القوى المضادة أن أهدافها مكشوفة وواضحة وأن المسلمين قد تجاوزوا مرحلة الغفلة عن المؤامرة ومرحلة الانبهار بالدعوات الوافدة .

ومن هذه الظواهر ما يلي :

أولا : ظاهرة البهائية وتغلغلها الصامت في قطاع من المسلمين وتحولها من الدعوة المباشرة إلى أسلوب المكر والخداع تحت أسماء أخرى في مقدمتها التقدمية والعصرية ، وقد تكشف في وضوح العلاقات الجذرية والعضوية بين البهائية وبين الصهيونية العالمية بوصفها إحدى مفرزات الماسونية العالمية بالمحافل الأخرى المعروفة ، وإذا كانت أهداف البهائية تتخفى اليوم وراء دعاوى عصرية يحمل لواءها أمثال « حسين أحمد أمين » و « زكي نجيب محمود » وغيرهما فإنها في النهاية تعارض مفهوم الإسلام معارضة تامة وتدعو إلى إلغاء الجهاد وإلى نوع آخر مختلف من الصوم والصلاة والحج ، وأنها تقدر الرقم ١٩ الذي يمثل القرن التاسع عشر الذي ظهر فيه البهاء .

وتكشف الوثائق البهائية — نفسها — قوة ارتباطها بالصهيونية وتآمرها مع الإسلام والمسلمين وقد ظهرت وثائق كثيرة تشير إلى

الرابطة العميقة بين الصهيونية والبهائية ، وقد عاش « عباس البهاء » في حيفا قبل خمسين عاما وأعلن أن فلسطين ستكون موطننا لليهود ، وترددت تصريحات كثيرة عن أن بين البهائية وإسرائيل روابط ووحدة مصير .

وما كتبه « حسين أحمد أمين » في دعوته إلى إنشاء برلمان إسلامي يتضمن ترديد أفكار البهائية بصورة أو بأخرى حين يدعو إلى : (١) مساواة الأنثى بالذكر في الميراث (٢) مساواة شهادة المرأة مع شهادة الرجل (٣) طرح الحجاب الإسلامي للمرأة (٤) تأليف البرلمان من مختلف الأديان والمذاهب والمشارب .

ثانيا : الدعوة إلى النبوة ، وظهور بعض المثقفين البارزين الذين يحملون لواء خداع الناس بأنهم أنبياء جدد ، وأنهم يحملون رسالات ودعوات ، وجود من يصدقهم ويقتنع بهم ممن قصرت ثقافتهم الإسلامية عن فهم حقائق الأديان ورسالات السماء والوحي ، والتيقن بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

ثالثا : ظهور مجموعات من الأحمديّة (القطر الثاني للقاديانية) في الأرض المحتلة يدعون إلى نبوة جديدة و يقيمون مسجدا يحمل لواء هذه النبوة الجديدة ، وللقاديانية تاريخ في الدعوة إلى الألوهية والنبوة ، وكانت الأحمديّة قد أعلنت انفصالها عن القاديانية خدعة للناس وتمويها حتى يمكنها أن تتطلق في دعوتها على نحو أقل مغالاة ، وقد كسبت مواقع كثيرة في بلاد إفريقيا ، ولكن الشيء الخطير الجديد هو احتواء الصهيونية العالمية لها أخيرا .

رابعا : جمعية الإسلام والغرب :

وقد انبثقت هذه الجمعية من خلال المؤامرة التي رقت منذ

سنوات للحوار بين الإسلام والغرب من أجل الحصول من كتاب مسلمين ذوي أسماء لامعة على اعتراف بأن المسيحية دين شماوى ، وذلك لإشهارها في وجوه الراغبين في الدخول إلى الإسلام من أهل الغرب .

ومن ثم نبئت فكرة توسيع نطاق الحوار بين المسلمين والمسيحيين عن طريق جمعية الإسلام والغرب إلى حوار بين الإسلام واليهودية .

خامسا : ظهور نماذج من الشباب تؤمن بالمفاهيم الوجودية المادية الإلحادية التى ترى فى قتل الأب والأم تخليصا لهم من الحياة فى عالم لا يستحق الحياة يرجع ذلك إلى انتشار عديد من الكتب المسمومة التى ترجمت عن ملاجدة الغرب ودعاة الإباحية والكشف .

سادسا : ظهور طائفة من الشباب تقوم بتقليد أفلام الجنس والجريمة ، وذلك بالتصديق للفتيات والمعابثة والاغتصاب على النحو الذى يجرى فى الأفلام الأجنبية الكثيرة التى تسرف أدوات التسلية والترفيه فى عرضها .

سابعاً : انتشار مفهوم التربية الغربى الوافد الذى يتلخص فى إطلاق حرية الفتى والفتاة فى الحياة الاجتماعية وعدم حمايتهم أخلاقيا أو دينيا على النحو الذى يدفعهم إلى مرافقة فتيات أو فتيان تحت اسم الحب والخطوبة الكاذبة واستعمال وسائل الإغراء التى تفقد الفتيات هويتهن وكرامتهن .

ثامنا : انتشار الهرويين والمخدرات فى محيط الشباب على نحو مخيف مما يدفع إلى تدمير مجموعات الشباب ، عماد هذه الأمة ،

وانهياره والحيلولة دون قدرته على القيام بواجبه في بناء المجتمع
(١٩٠ ألف مدمن لأنواع مختلفة من المخدرات) .

تاسعا : الاختلاط في التعليم والعمل وعدم حماية الفتاة من
أخطار الإغراء والخداع ، وبروز ظاهرة الرقص في برامج
التليفزيون على نحو مثير واتساع نطاق القصة المكشوفة لكتاب
تفتح لهم الصحف أبوابها ، وتقديم مفاهيم منحرفة وأعراف
مضطربة لا يقرها الإسلام في العلاقات بين الرجل والمرأة والزواج
والزوجة والأب والابن .

عاشرا : سلاح (الكاسيت) المفزع وظهور أشرطة الفيديو
المكشوفة وتيسر الحصول عليها وخطر عرضها بين الأسر وأمام
الفتيات والزوجات على ما بها من مناظر الالتقاء الجنسي الفاضح ،
وأثر ذلك النفسي على الشباب والفتيات على السواء .

حادى عشر : العجز الواضح أمام الطريق الصحيح للعلاقات
الشرعية بين الشباب من انحراف الآباء والأمهات من ناحية ، أو من
العجز عن تيسير عقد الزواج أو الحصول على مسكن للزوجية مما
يضاعف اضطراب المجتمع بقيامه علاقات يائسة بين الشباب
والفتيات على أساس الخداع وترجية الفراغ ، مما يدفع إلى تدمير
البكارة نظراً لانغلاق الطرق أمام قيام علاقات طبيعية بين الفتى
والفتاة عن طريق الاتجاه الشرعى الصحيح ، ولا ريب أن للأقلام
الجنسية أثرها في رفع نسبة هذا الهياج العاطفى واضطرابه .

ثانى عشر : هذه المطبوعات المشبوهة التى توزع والتى كتبت
بجميع اللغات ، وتعليم اليوجا والدعوة إلى أن كل شئ له أصل
في الفرعونية ، وكتب السحر والخرافات والدراسات الواسعة عن
الأساطير والمأثورات الشعبية ومؤتمراتها كل هذا يخفى من وزائه

حرباً عنيفة للإسلام • ولا ريب أن لكتاب الجنس أثراً واضحاً في هذه المخاطر التي يمر بها هذا المجتمع ، وأن هناك كتاباً تخصصوا فعلاً منذ سنوات طويلة في هدم الشخصية الإنسانية أخلاقياً ، وتدميرها ، وأصابع الاتهام تشير إليهم ، وهم في هذا يحققون أهداف « بروتوكولات صهيونية » بالقضاء على الجيل الشاب المسلم المعاصر وهدمه وتدميره •

ولا ريب أن الحلول التي قدمها العلمانيون لمواجهة هذه الأخطار كلها غير كافية وغير حاسمة ، وأن هناك منطلقاً واحداً لتصحيح هذا الطريق وللقضاء عليه هو التماس منهج الإسلام •

إن أفلام الجنس والجريمة هي التي فتحت الباب واسعاً أمام الشباب الذي لم يكن محصناً بثقافة إسلامية أساسية تحول بينه وبين الانخراط في الفساد والتحلل ، ألا يحسن أن نراجع أنفسنا وندرس مصدر الخطر الحقيقي حين نجد في (الصحافة — وسائل الترفيه — قصور التربية في مجال التعليم — غياب القدوة في المنزل والمدرسة والشارع) ؟

إن ظاهرة الانحراف التي تبرز واضحة في مجتمعنا اليوم ، من خلال هذه الظواهر المختلفة تؤكد أنها ظاهرة حقيقية لها جذورها ، ومهما حاولت أقلام مختلفة اقتراح الحلول فإن هناك حلاً واحداً وطريقاً واضحاً لا سبيل غيره هو (أسلمة المجتمع) •

أولاً : بناء نظام تربوي إسلامي جديد يختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن النظام التعليمي الغربي الذي يطبق الآن ، يقوم على أساس الأخلاقية الإسلامية والمسئولية الفردية ، ويفرق في التعليم بين تعليم الرجال وتعليم النساء •

ثانياً : إعداد المجتمع إعداداً تاماً لقيام المنهج الإسلامي في المعاملات التجارية والاجتماعية •

ثالثا : بناء القوانين الجديدة على أساس الإسلام الذى تختلف منطلقاته عن منطلقات القوانين الغربية ، التى قامت فى مجتمعات لها طوابع وثنية ومادية وإباحية ، تختلف عن مجتمع التوحيد الإسلامى ، ولذلك فإن إصلاح القوانين الحالية مع الإبقاء على منطلقاتها يجعلها قاصرة على تحقيق النهضة الإسلامية المرجاة ، ويمكن للمفهوم الغربى من الاستمرار مرحلة أخرى •

إن هناك قوى كبرى تريد أن تستبقى طابع التغريب على قوانيننا وتحول دون أن نتحرر تماما من هذه البنية ، ولا ريب أن حركات دعوى النبوة والبهائية والروتارى وغيرها ، كلها مؤشرات لمخطط كبير يجرى تحريكه ، بقوة لهدم مقومات هذه الأمة ، ولا بد أن القوى الوطنية واعية لذلك وأنها قادرة على كشفه وإفساده •

وإننى أحمل الصحافة القومية أكبر التبعات فى الأخطار التى تحيط بالمجتمع المصرى ، فهى من خلال كتابات بعض الكتاب اللامعين ، وإعلاناتها (التى تفرض فكراً وافداً مدفوع الثمن — وكاريكاتيرها) توجه من وراء الوعى إلى الانحراف ، وتعطى هذا الانحراف طابع الشرعية والقبول ، فهى إن كانت فى مظهرها فى خدمة أهداف الوطن فإنها تخفى هويتها التغريبية وراء الأبواب الأخرى : كالسينما والمسرح والكرة وصفحة الأحداث (الجرائم) والأعمدة ، فهى تعرض مخططاتها من خلال تصورات ساخرة أو منقولة من صحف أجنبية أو من كتابات وجوديين وإلحاديين فى أعمدة الرأى ، وبذلك تمضى إلى غايتها دون أن تبدو وكأن لها هدفاً آخر غير الهدف القومى ، ولقد قدمت كتابات « أنيس منصور » وقصص « إحسان عبد القدوس » و « نجيب محفوظ » وإيماءات « توفيق الحكيم » و « وزكى نجيب محمود » و « حسين أحمد أمين » إيماءات واضحة لأهداف ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الفهرس

الموضوع	الصفحة
— المدخل	٣
— العودة إلى المنهج الإسلامى الربانى	٧
— منهج جامع متكامل تكامل الإنسان نفسه	١٢
— عطاء الإسلام وقرآث الغرب	١٧
— كيف يفهم الإسلام المعاصرة	٢٢
— أصالة الصحوة	٢٧
— المشروع الحضارى الإسلامى	٣١
— العودة إلى المنابع لا « التتوير »	٣٥
— البناء على الأساس	٣٨
— فوارق عميقة بين المنهج الربانى والمنهج البشرى	٤٢
— أضواء منهج الإمام الغزالى بعد تسعمائة سنة	٤٧
— لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من كل جوانبه	٥١
— احذروا بدائل الإسلام	٥٤
— نحن أساتذة الغرب ولن نكون تلاميذه	٥٨

الموضوع	الصفحة
— مؤامرة الصمت	٦٣
— لن تعود تجربة القومية	٦٧
— المواجهة مع الغرب لن تتوقف	٧١
— أخطر مؤامرة تعرض لها الإسلام في العصر الحديث	٧٥
— هذه هي العبرة	٧٧
— عودة إلى طريق القرآن	٧٩
— تمييز الإسلام عن المذاهب والعقائد	٨١
— نقول للداعية إلى الله	٨٤
— الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع	٨٥
— لنعرف مصادر الخطر ونتحاشاها	٨٨
— ضوء الفجر	٩٠
— بين الوحدة البشرية والتمايز الثقافي	٩٢
— إعادة صياغة المجتمع الإسلامي من جديد	٩٤
— مسئوليتنا إزاء الأجيال الجديدة	٩٨
— عصر القرآن	١٠٣

الموضوع	الصفحة
— الإسلام في عصر القرآن	١٠٧
— المنطلق	١١٢
— إعادة كتابة العلوم ودوائر المعارف	١١٨
— لماذا لا يكون الأدب العربي المعاصر عالميا	١٢٤
— المؤامرة على معطيات الأصالة	١٢٨
— المؤامرة على معطيات الصحوة الإسلامية	١٣٤
— شبابنا المسلم في وجه الإعصار	١٤٠

رقم الإيداع ٨٧/١٥٦٧

الترقيم الدولي ١ - ٨٣ - ١٤٣٠ - ٩٧٧

مطبعة عبير للكتاب والأعمال التجارية

١٦ ش لعي المطيعي - حدائق حلوان

ت : ٦٨٨٤٨٤

قضية هذا الكتاب

إن الربط بين الأصالة والمعاصرة إنما هو ربط بين علاقتين هما علاقة الزمن وعلاقة التاريخ . والمسلمون يعيشون عصرهم بمفهومهم الإسلامى الذى لا يضحى بالقيم ولا بالمنابع ولا بالأسس التى قامت عليها عقيدتهم وكيانهم ، وهم قادرون أن يعيشوا العصر على أساس الالتزام بالأصالة .

فهم فى إطار الأصالة يملكون حق الاختيار ، فلا يُفرض عليهم من الغرب شئ ، فحاجتهم الأساسية كلها فى العلوم والتكنولوجيا .. يأخذونها مادة خاماً ويصهرونها فى إطار وجودهم وعقيدتهم . والأصالة تقتضى منهم العودة إلى الأصل والمنبع ، إلى الأساس الأصيل والقاعدة الإسلامية الأساسية التى بُنى عليها هذا المجتمع منذ خمسة عشر قرناً ، بحيث توضع تلك القاعدة فى مكان الحكم والاحتكام بهذا يدخل المسلمون مرحلة المعاصرة فى ضوء كاشف هو الأصالة .

دار الصحوة

حدائق حلوان بجوار عمارات المهندسين

ت : ٦٨٨٠٧١

طبعة المصينة - ت ٦٨٣٢٥١

